

منازل الأرواح

تأليف شيخ الإسلام

محمد بن سليمان الكافيجي الحنفي

« ٧٨٨ - ٨٧٩ هـ »

تحقيق

مجدي فتحي السيد

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة



تأليف شيخ الإسلام

محمد بن سليمان الكافيجي الحنفي

« ٧٨٨ - ٨٧٩ هـ »

تحقيق

مجدي فتحي السيد

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع
١٢٠ شارع الأزهر ت ٩٣٢٨٢٠ ـ ٢٦٣١٥٧٨
ص.ب ١٦١ الغورية فاكس ٢٦٢١٧٥٠

الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله .....

نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله . من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا .

من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله حَقَّ تُقَاتِهِ ، ولا تَمُوتُنَّ إلا وأنْتُم مُسْلِمُون ﴾ (*) .

﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا ونِساءً ، واتقُوا الله الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والأرحامَ ، إنَّ الله كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (**) .

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ، ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ، وَمَنْ يُطِعِ الله ورَسُولَهُ ، فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (***) .

(*) سورة آل عمران : ١٠٢ .

(**) سورة النساء : ١ .

(***) سورة الأحزاب : ٧٠ ـ ٧١ .

بين يدي الكتاب

الحمد لله وكفى وصلاةً وسلامًا على عباده الذين اصطفى . وبعد .

الحديث عن عالم الروح شيقٌ وممتعٌ ، ومثيرٌ وغريبٌ في آنٍ واحد .

وفي هذا العصر الذي عاش فيه الكثيرون في متاهات المادية ، وفُتنوا بها ، حتى نسي البعض منهم الروح وغذاءها ، وظن أنه في غنى عنها تبدو قيمة هذا الكتاب .

ففي هذا الكتاب ما يؤكد فطرة الإنسان بوجود الروح ، وحاجة الإنسان إلى إشباعها بما يمنحها معنى الحياة .

والروح سرٌ من أسرار الله القدير في كونه التي تفرَّد سبحانه بماهيتها . ولقد حاول الكثير من علماء الأمة إعطاء إجابة تقرب الروح إلى الأذهان ، فنجد الإمام الرازي يقول :ـ

« إن الإنسان ليس عبارة عن هذه البنية ، لأن أجزاءها تتحلل وتستبدل ، والإنسان باقٍ من أول عمره إلى آخره » .

ويقصد هنا بمدلول الإنسان الروح .

ويقول العلامة أبو عبد الله بن القيم ما نصه :ـ

« الروح جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس ، وهو جسمٌ نوراني ، علوي خفيفٌ ، حيٌ ، متحركٌ ، ينفذ في جوهر الأعضاء ، ويسري فيها سريان الماء في الورد ، وسريان الدهن في الزيتون ، والنار في الفحم .

فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي ذلك الجسم اللطيف متشابكًا لهذه الأعضاء ، وأفادها هذه الآثار

من الحس ، والحركة الإرادية ، وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها ، وخرجت عن قبول هذه الآثار ، فارق الروح البدن ، وانفصل إلى عالم الأرواح » .

وغير ابن القيم تكلم كثيرٌ قال بأقوالٍ أخرى ، ولكن تبقى الروح من الأسرار التي اختص الله بعلمها .

ولقد حاول المصنف ـ رحمه الله ـ في كتابنا الاعتماد قدر الإمكان على أقوال السلف الصالح في تحقيق المسائل في هذا الباب العقائدي .

إلا أنه كان أحيانًا ينقل عن علماء الكلام والفلاسفة سواء في الرد عليهم ، أو تعضيد ما يراه بأقوالهم .

ولقد قسم المؤلف كتابه إلى مقدمةٍ وخمسة أبواب وخاتمة تحدث في المقدمة عن أهمية الموضوع ، والحكمة الربانية في إخفائه عن خلقه .

أما الباب الأول : فدار الحديث فيه عن حكمة إنشاء النفس ـ أي الروح ـ في بدن الآدمي .

أما الباب الثاني : فكان الحديث فيه عن ماهية تعلق النفس بالبدن ، وكيفيتها .

وفي الباب الثالث : كان الحديث عن حال الروح عند نوم الإنسان ، وأين تنتقل ، وكيف تعود ، وكيف شعور الإنسان بها في منامه ، ورؤية الأحياء في النوم للأموات ومعنى ذلك ؟

وفي الباب الرابع : كان الحديث عن الروح عند الموت .

أما الباب الخامس : فكان عن حال الروح بعد الموت ، ومقر أرواح الأبرار أهل الجنة ، ومقر أرواح الأشرار أهل النيران .

وعن كيفية شعور الآدمي بعذاب القبر ونعيمه ، ودلائل كل ذلك .

وفي الخاتمة : كان الحديث عن الحشر وما يتعلق به ، وكيفية عودة الروح إلى البدن .

وأخيرًا ...

مع صفحاتٍ من تراثنا النفيس أترككم آملاً من الله تعالى التوفيق ، وحسن الاختيار فيما قدمت لكم .

والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته

أبو مريم / **مجدي فتحي السيد إبراهيم**
طنطا

ترجمة المصنف

١ ـ نسبه ونشأته :ـ

هو محيي الدين ، أبو عبد الله ، محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرومي ، البرعمي ، الحنفي ، المعروف بالكافيجي .

ولقب بالكافيجي لكثرة اشتغاله بكتاب الكافية في النحو .

ولد ـ رحمه الله ـ سنة ثمان وثمانين وسبعمائة .

اشتغل بالعلم منذ صغره ، وهو رومي الأصل ، فقد ولد بككجة كي من بلاد صروخان ، ورحل إلى بلاد العجم والتتر ، ولقي العلماء الأجلاء ، ثم رحل إلى القاهرة ، واستقر بها .

٢ ـ شيوخه الذين تلقى عنهم :ـ

أخذ العلم عن جمٍ غفيرٍ ، منهم : الشمس الفنري ، والبرهان حيدرة ، والشيخ واجد ، وابن فرشته .

٣ ـ تلاميذه الذين تلقوا عنه :ـ

تلقى عن الشيخ الكثير من طلبة العلم ، اشتهر منهم : السيوطي ، الذي لازمه مدة ١٤ سنة .

يقول في ذلك السيوطي : سمعت منه من التحقيقات والعجائب ما لم أسمعه قبل ذلك ، قال لي يومًا : ما إعراب « زيد قائم » فقلت : قد صرنا في مقام الصغار !! ونسأل عن هذا ؟! .

فقال لي : في « زيد قائم » مائة وثلاثة عشر بحثًا ، فقلت : لا أقوم من هذا المجلس حتى أستفيدها ، فأخرج لي تذكرتها ، فكتبتها منها ، وما كنت أعد الشيخ إلا والدًا بعد والدي .

٤ ـ الفنون التي أتقنها وعلمها :ـ

عُرف الكافيجي بأنه فقية ، أصوليّ ، محدثٌ ، نحويّ ، مفسرٌ ، صرفيٌ ، منطقي ، رياضيٌ .

وهذا يدل على إتقانه لفنون كثيرة ، وإن اختلف قدر إتقان بعضها عن البعض الآخر .

يقول السيوطي تلميذه :ـ كان الشيخ إمامًا كبيرًا في المعقولات كلها ، والكلام ، وأصول الفقه ، والنحو ، والتصريف ، والإعراب ، والمعاني ، والبيان ، والجدل ، والمنطق ، والفلسفة ، والهيئة ، بحيث لا يشق أحدٌ غباره في شيءٍ من هذه العلوم ، وله اليد الحسنة في الفقه ، والتفسير ، والنظر في علوم الحديث ، وألف فيه .

٥ ـ شمائله ، ومناصبه العلمية :ـ

كان رحمه الله صحيح العقيدة في الديانات ، حسن الاعتقاد ، محبًا لأهل الحديث ، كارهًا لأهل البدع ، كثير التعبد على كبر سنه ، كثير الصدقة ، والبذل ، لا يُبقي على شيء ، سليم الفطرة ، صافي القلب ، كثير الاحتمال لأعدائه ، صبورًا على الأذى ، واسع الصدر ، ولقد وليَ المشيخة بتربة الأشرف برسباي ، ثم ولي مشيخة الخانقاه الشيخونية ، لما رغب عنها ابن الهمام .

وانتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر .

٦ ـ مصنفاته العلمية :ـ

يقول السيوطي : ألف في علوم الحديث ، وأما تصانيفه في العلوم العقلية فلا تحصى ، بحيث إني سألته أن يسمي لي جميعها لأكتبها في ترجمته ، فقال : لا أقدر على ذلك . وأكثر تصانيف الشيخ مختصرات ، وأجلها وأنفعها على

الإطلاق شرح قواعد الإعراب ، وشرح كلمتي الشهادة .

قلت : وبالنظر إلى قائمة المؤلفات التي وصلتنا في ترجمة المصنف رحمه الله كالتالي .

١ ـ « مختصر في علم التاريخ » مخطوط .

٢ ـ « أنوار السعادة في شرح كلمتي الشهادة » مخطوط .

٣ ـ « منازل الأرواح » وهو الكتاب الذي بين أيدينا يُطبع للمرة الأولى ، فالحمد لله .

٤ ـ « معراج الطبقات » مخطوط .

٥ ـ « قرار الوجد في شرح الحمد » مخطوط .

٦ ـ « نزهة المعرب » مخطوط ، وهو في النحو .

٧ ـ « التيسير في قواعد التفسير » مخطوط .

قال السيوطي : قدر ثلاثة كراريس ، وكان يقول : إنه اخترع هذا العلم ، ولم يسبق إليه ، وذلك لأن الشيخ لم يقف على البرهان للزركشي ، ولا على مواقع العلوم للجلال البلقيني .

٨ ـ « حل الإشكال » مخطوط ، في الهندسة .

٩ ـ « الإحكام في معرفة الإيمان والأحكام » مخطوط .

١٠ ـ « الإلماع بإفادة لو للامتناع » مخطوط .

١١ ـ « جواب في تفسير : والنجم إذا هوى » مخطوط .

١٢ ـ « مختصر في علم الإرشاد » مخطوط .

١٣ ـ « الرمز » في علم الأسطرلاب .

١٤ ـ « الأنوار في علم التوحيد الذي هو أشرف العلوم والأخبار » .

١٥ ـ « وجيز النظام في إظهار موارد الأحكام » وغيرها .

٧ ـ وفاته :ـ

قال السيوطي : تُوفي الشيخ شهيدًا بالإسهال ، ليلة الجمعة ، رابع جمادى الأولى سنة تسع وسبعين وثمانمائة هجرية .

ولمزيدٍ من التفصيل والإيضاح حول ترجمة المصنف ، فعليك بالرجوع إلى المراجع ، والمصادر التالية :ـ

١ ـ الضوء اللامع : (٧ / ٢٥٩) للسخاوي .

٢ ـ حسن المحاضرة : (١ / ٣١٧) للسيوطي .

٣ ـ البدر الطالع : (٢ / ١٧١) للشوكاني .

٤ ـ شذرات الذهب : (٧ / ٣٢٦) لابن العماد الحنبلي .

٥ ـ بغية الوعاة : (ص / ٤٨) للسيوطي .

٦ ـ مفتاح السعادة : (١ / ٤٥٤) طاش كبرى .

٧ ـ كشف الظنون : (١٢٤ ، ١٩٤ ، ٤٨٤ ، ٥١٧ ، ١٠٣٥ ، ١٠٤٣ ، ١١٤٤) لحاجي خليفة .

٨ ـ إيضاح المكنون : (١ / ٣٦ ، ٨٧ ، ١٣٢ ، ١٤٥ ، ١٩٧ ، ٤٠٤ ، ٤١٦ ، ٥٨٣) للبغدادي .

٩ ـ الأعلام : (٦ / ١٥٠) للزركلي .

١٠ ـ معجم المؤلفين : (٩ / ٥١) لكحالة .

والحمد لله رب العالمين

وصف مخطوط الكتاب

وتوثيقه

عثرت ـ بفضل الله تعالى ـ على مخطوطة هذا الكتاب الطيب في دار الكتب المصرية ، العامرة بذخائر المخطوطات من تراث سلفنا الصالح .

وإليك بياناتها كما تعرفنا عليها :

١ ـ عنوان المخطوط : منازل الأرواح .

٢ ـ المؤلف : الشيخ الإمام ، شمس الأئمة والدين أبو عبد الله الكافيجي الحنفي .

٣ ـ رقم المخطوط : (١٧٥) .

٤ ـ الفن : (تصوف) .

٥ ـ رقم الميكروفيلم : (٣٧٣٩٤) .

٦ ـ عدد الأوراق : (٤٣) ورقة أي (٨٦) صفحة .

٧ ـ عدد السطور : (١٣) سطرًا تقريبًا .

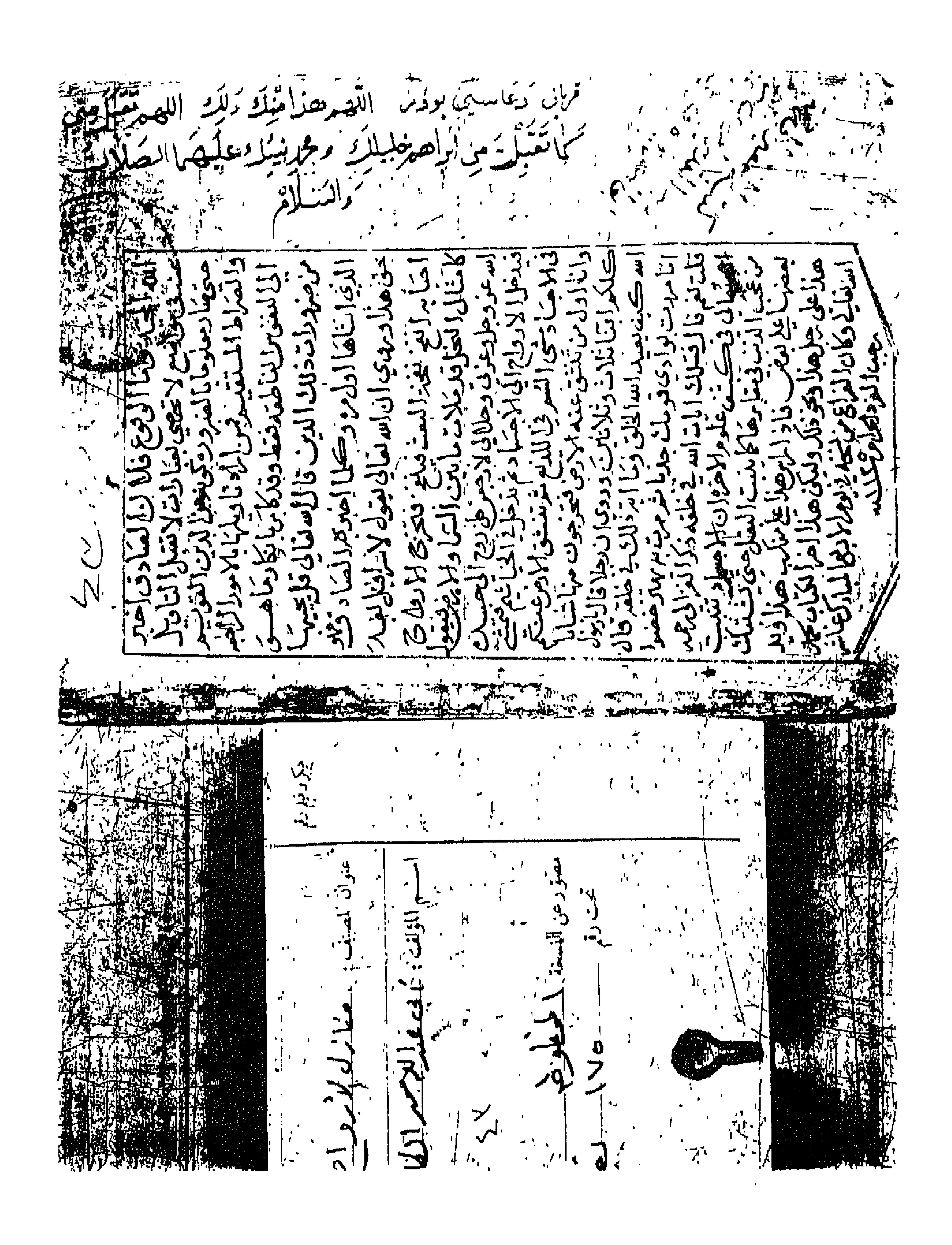
٨ ـ عدد الكلمات في السطر : (٦) كلمات .

٩ ـ تاريخ المخطوط : ١١٢٥ هـ .

ولقد نسبه له الزركلي في أعلامه ، وغيره من أصحاب التراجم كما هو واضحٌ في ترجمة المصنف .



الورقة الأولى من « الأصل » المخطوطة



اللهم هذا منك ولك اللهم تقبل مني كما تقبلت من ابراهيم خليلك ومحمد نبيك عليهما الصلاة والسلام

الورقة الأخيرة من « الأصل » المخطوطة

عملي في الكتاب

عثرتُ بفضل الله وكرمه على نسخةٍ من مخطوط هذا الكتاب الطيب في دار الكتب المصرية ، العامرة بذخائر التراث ، فتم نسخها ودراستها كالتالي :ـ

١ ـ قدَّمت للكتاب بحديثٍ عن الموضوع ومؤلفه ، والمخطوط ووصفه .

٢ ـ قمت بتحقيق الأحاديث الواردة في الكتاب ، مع ذكر درجة الحديث كلما أمكن إلى ذلك سبيل .

٣ ـ عزوت الآيات القرآنية إلى سورها ، وضبطت الآيات ضبطًا كاملاً .

٤ ـ اهتممت بعزو الآثار إلى مخرجيها ، وذكر درجتها إن احتاج الأمر إلى ذلك .

٥ ـ قمت بعمل إحالات إلى المواضع التي استعان فيه المصنف بالنقل عن غيره كالقرطبي في التذكرة ، وابن القيم في الروح ، والغزالي في الإحياء ، وذلك عندما ينسى المصنف العزو .

وأخيرًا :

لقد حاولت الإحسان قدر الإمكان ، ولكن أبى الله عز وجل أن يكون الكمال إلا لكتابه ، فمن وجد خيرًا فليدْعُ لي ، ومن وجد غير ذلك فليستغفر لي ، وحسبي أن الله يعلم ما في الصدور ، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله العلي الكريم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أبو مريم مجدي فتحي السيد إبراهيم

طنطا ـ مصر

منازل الأرواح

تأليف شيخ الإسلام
محمد بن سليمان الكافيجي الحنفي
« ٧٨٨ - ٨٧٩ هـ »

تحقيق
مجدي فتحي السيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق النفس وأثنى على من زكاها ، وأرسل نبينا محمدًا سيد المرسلين محتده خير البلاد وأزكاها ، صلى الله عليه ، وعلى آله وأصحابه ، مادامت الشمس وضحاها .

أما بعد ...

فهذه رسالة مشتملة على مقدمة ، وخمسة أبواب وخاتمة .

أما المقدمة : ففي بيان الروح وحدوثها ، وفي بيان الأقوال فيها ، فلنتكلم فيه بحسب الإذن فيها ، وبقدر الطاقة البشرية ، فإنَّ عقل الإنسان مقيد بالمدارك ، والأصول ، والنصوص ، وتحقيق الأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر متعسر ، بل متعذر ، لاسيا في مثل الروح ، قال الله تعالى :

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ العِلْمِ إلا قَلِيلاً ﴾ (١) .

وأما دركها بوجهٍ يميزها عما عداها فهو سهل ، ولهذا قال أبو البركات : تعريف الأشياء سهل ، كما قال الإمام الرازي تعريف الأشياء صعب . فالروح اسم على وزن فعل ، كقرب يذكر ويؤنث ، وأهل اللغة يفهمون منه معنى كفهم سائر المعاني من الألفاظ ، وإن تعسر عليهم تعيين ذلك المعنى بعينه مادام هو في حد ذاته : أجوهر هو أم عرض ؟ أجسم هو أو جسماني ؟ إلى غير ذلك .

---

(١) سورة الإسراء : ٨٥ .
والمعنى : أن علمكم في علم الله قليل ، وهذا الذي تسألون عنه من أمر الروح مما استأثر به تعالى ، ولم يطلعكم إلا على القليل من علمه تعالى . انظر : تفسير القرآن العظيم (٣ / ٦١) .

لكن المفهوم منه عندهم هو أمرٌ في هذا الهيكل المخصوص المسمى بالبدن ، ويطلق عليه القوة العاقلة ، والنفس الناطقة .

وهي التي يشير إليها كل واحد بقوله « أنا » .

لكن المقصود ههنا بيان هذه ، وهي حادثة بحدوث البدن عند الجمهور .

أما الأول : فلأنها محتاجة في وجودها إلى غيرها ، ولا قديم [٢] إلا الله وصفاته .

وأما الثاني : فلقوله تعالى بعد أطوار البدن :

﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾ [٣] .

قال المفسرون : المراد منه إفاضته الروح والنفس الناطقة عليه ، وبهذا استدل أيضًا على أن الروح غير البدن ، وببقائها بعد فنائه .

وقال البعض : إنها حادثة قبل حدوث البدن لقول النبي ﷺ : « خلق

---

(٢) أدخل المتكلمون في أسماء الله تعالى : القديم ، وليس هو من الأسماء الحسنى ، فإن القديم في لغة العرب التي نزل بها القرآن : هو المتقدم على غيره ، فيقال : هذا قديمٌ للعتيق ، وهذا حديثٌ للجديد ولم يستعملوا هذا الاسم إلا في المتقدم على غيره ، لا فيما لم يسبقه عدم ، كما قال تعالى : ﴿ حتى عاد كالعرجون القديم ﴾ يس : ٣٩ .
والعرجون القديم : الذي يبقى إلى حين وجود العرجون الثاني ، فإذا وجد الجديد قيل للأول : قديم ، وقال تعالى : ﴿ وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم ﴾ الأحقاف : ١١ أي متقدم في الزمان .
وقال تعالى : ﴿ أفرأيتم ما كنتم تعبدون . أنتم وآباؤكم الأقدمون ﴾ الشعراء : ٧٥ - ٧٦ .
فالأقدم مبالغة في القديم ، ومنه : القول القديم ، والجديد للشافعي رحمه الله وأما إدخال القديم في أسماء الله تعالى ، فهو مشهورٌ عند أكثر أهل الكلام ، وقد أنكر ذلك كثير من السلف والخلف ، منهم ابن حزم .
وجاء الشرع باسمه الأول ، وهو أحسن من القديم ، لأنه يشعر بأن ما بعده آيل إليه وتابع له ،. بخلاف القديم ، والله تعالى له الأسماء الحسنى لا الحسنة . انظر : شرح الطحاوية (ص ١١٤/ - ١١٥).
(٣) سورة المؤمنون : ١٤ .

الله الأرواح قبل الأجساد بألفي عام »[٤] .

لكن المختار هو الأول لظهور رجحان القرآن على الحديث .

واختلف فيها أيضًا . هل هي مادية أم لا ؟! فذهب البعض إلى أنها جوهر في البدن مدرك نوراني ، متحرك بنفسه في جوهر الأعضاء . سار فيه سريان ماء الورد في الورد ، والدهن في السمسم ، والنار في الفحم . لقول النبي ﷺ : « أعدى أعدائك : نفسك التي بين جنبيك »[٥] .

ولأن كل عاقل يجد من نفسه .

وَيُعْلَمُ أنه يشير إليها بقوله : « أنا » ، ومعلوم بالضرورة أن الإشارة إلى موجود في البدن . حتى لو قيل إن الإشارة إلى أمر موجود فيما وراء هذا البدن لم يكن مقبولاً عند العقول ، ويكادون يطبقون على تكذيبه .

---

(٤) حديثٌ موضوع . أخرجه الديلمي كما في الفردوس (٢٩٣٧) ، وابن الجوزي (١/ ٤٠١) في الموضوعات ، وعزاه ابن عراق (١/ ٣٦٨) في تنزيه الشريعة إلى أبي الفتح الأزدي ، وقال : فيه عبد الله بن أيوب بن أبي علاج .

قلت : قال الذهبي : متهمٌ بالوضع ، كذاب ، انظر : الميزان (٢/ ٣٩٤) .

- أورده السيوطي في الحاوي (١/ ٣٧٠) وقال : إسناده ضعيف جدًا فلا نعول عليه ، والمعول عليه في ذلك الحديث الصحيح « إن الله قدر المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة » وذلك شامل للأرزاق .

(٥) حديثٌ موضوع . أخرجه البيهقي فى الزهد (٣٤٣) قال : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا عبد الله بن محمد الرازي ، ثنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل ، ثنا محمد بن عبد الرحمن بن غزوان ثنا إسماعيل بن عياش عن حنش الرحبي عن عكرمة عن ابن عباس به .

- قال العراق في المغني (٣/ ٤) : أخرجه ا لبيهقي في الزهد من حديث ابن عباس ، وفيه محمد ابن عبد الرحمن بن غزوان ، أحد الوضاعين .

قلت : وفي سنده أيضًا حنش الرحبي ، وهو من المتروكين ، واسمه الحسين بن قيس ، وحنش لقب له .

•• وأخرجه العسكري في الأمثال من حديث سعيد بن أبي هلال مرسلاً ، كما في كنز العمال (١١٢٦٣) ، والديلمي كما في الفردوس (٥٢٤٨) من حديث أبي مالك الأشعري ، وانظر الكلام

وذهب أبو حامد الغزالي ، والراغب ، وجمعٌ من الصوفية ، والحكماء إلى أنها جوهر مفارق عن البـدن متعلق بـه تعلق تَـدَبُّرٍ وتصرُّفٍ ، وههنـا أقوال أخر ، لكن الذي قدمناه هو الأولى .

عليه في تذكرة الموضوعات (١٩١) للفتني .

الباب الأول في :

(بيان حكمة إنشاء النفس الناطقة)

وهي المعرفة والعبادة . قال الله تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [١] .

وذلك لأن لنفس الإنسان ثلاث قوى : عقلية ، وغضبية ، وشهوية .

إذا اعتدلت هذه الثلاث . حصلت العدالة المركبة من الحكمة والعفة والشجاعة فالحكمة : باعتدال القوة العقلية ، والعفة : باعتدال القوة الشهوية . كما أن الشجاعة : تهذيب القوة الغضبية . قال الله تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [٢] .

قال المفسرون : المراد من الوساطة ههنا هو العدالة ، فلها باعتبار القوة العقلية أربع مراتب .

فأولاها : تسمى عقلاً هيولانيًا ، لكونها خالية عن العلوم في مبدء الفطرة ، قابلة لها . قال الله تعالى :

﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ [٣] .

وثانيتها : تسمى عقلاً بالملكة ، لحصول ملكة الانتقال إلى العلوم النظرية حينئذٍ بسبب حصول العلوم الضرورية الأولية باستعمال الحواس . قال الله تعالى :

---

(١) سورة الذاريات : ٥٦ .

(٢) سورة البقرة : ١٤٣ .

• انظر : تفسير القرآن العظيم (١/ ١٩٠ - ١٩١) .

(٣) سورة النحل : ٧٨ .

﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا** ﴾ (٤) .

وثالثتها : تسمى عقلاً مستفادًا . لاستفادتها العلوم النظرية .

ورابعتها : عقلاً بالفعل . لتمكنها من مشاهدة العلوم بلا تجشم كسبٍ جديد ، وكل ذلك بفضل الله وإنعامه . قال الله تعالى :

﴿ **وأنَّ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم** ﴾ (٥) .

فالمرتبة العليا للنفس الناطقة هي معرفة الصانع بما له من صفات الكمال والتنزه عن النقصان ، وبما صدر عنه من الآثار والأفعال ولها أيضًا : أربع مراتب باعتبار القوة العملية .

فأولها : تهذيب الظاهر . باستعمال الشرائع النبوية ، والنواميس الإلهية .

وثانيتها : تهذيب الباطن عن الملكات مع نقص آثار شواغله عن عالم الغيب .

وثالثتها : تحلي النفس بالصور القدسية .

ورابعتها : ملاحظتها صفات الله تعالى . مع قصر النظر فيها . حتى ترى كل قدرة مضمحلةٍ في جنب قدرته ، وكل علمٍ مستغرقًا في علمه الشامل ، بل كل وجود وكمال إنما هو فائض من جنابه . ويُقوي ذلك قول أبي حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ في تعريف الفقه : « معرفة النفس مالها وما عليها » وهذا مأخوذ من قول الله تعالى : ﴿ **لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ** ﴾ (٦) .

قال البيضاوي في تفسير قوله تعالى :ـ

---

(٤) سورة الشمس : ٧ ـ ٨ .

(٥) سورة الجمعة : ٤ .

(٦) سورة البقرة : ٢٨٦ .

﴿ وَتَرى المَلاَئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ العَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾[٧] .

فيه إشعار بأن درجات العليين وأعلى درجاتهم هو الاستغراق في صفات الحق ، هذا ثم إن حكمة العبادة وغايتها هي التقوى . قال الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٨] .

ثم إن المقصد الأقصى من التقوى هو ابتغاء وجه الكريم لقوله تعالى :

﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى الَّذِي يُؤتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى . وَمَا لأَحَدٍ عِنَدهُ مِن نِعْمَةٍ تُجْزَى . إلا ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِهِ الأَعْلَى ﴾[٩] .

قال بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾[١٠] .

هو أن ينزه العبادة عن الالتفات إليها ، وعن توقع المجازاة عليها .

جعلنا الله من عبادة المتقين ، وحشرنا في مقام أمين مع الذين أنعم الله عليهم من الصديقين .

---

(٧) سورة الزمر : ٧٥ .

(٨) سورة البقرة : ٢١ .

(٩) سورة الليل : ١٧ ـ ٢١ .

(١٠) سورة آل عمران : ١٠٢ .

الباب الثاني

في بيان تعلق النفس بالبدن

أنشد البعض فيه :

هَبَطتْ إليـك من المحلِ الأرْفـعِ ... وَرْقـــاء ذات تَعـزُّزٍ وَتَمنُّـعِ
محجـوبـةٌ عن كلِّ مقلـةِ عــارفٍ ... وهي التي سفرت ولم تتبرقـــعِ
وصلت على كرهٍ إليـك ، وربما ... كَرِهَتْ فراقك وهي ذات تَوجُّعِ

ثم إن ذلك التعلق تتوقف كمالاتها عليه على سبيل جري العـادة لما تقرر في الأصول أن الأشيـاء الممكنـة صـادرة عن الله عز وجل ابتـداءً ، وذلـك كتعلق العاشق بالمعشوق بل أقوى منه .

وتتعلـق منـه أولاً بـالروح القلبي المكنـون في جـوفـه الأيسر بخـار الغـذاء ولطيفه فـإن القلب لـه تجويف في جـانبـه الأيسر ينجـذب إليـه لطيف الـدم بحرارته المفرطة . فذلك البخار هو المسيء بالروح عنـد الأطبـاء ، وهو أسـاس أعمالهم ، ومدار علاجاتهم ، فيحصل لهذا الروح الحيواني بهـذا التعلق قوةٌ يسري بها إلى جميع أجزاء البدن وأعماقه ، ثم يحصل بهذه القوة لكل عضوٍ من أعضائـه قوةٌ يتم بها نفعه ، يشهد بذلك التجـارب الطبيـة ومطـالعـة الكتب الحكميـة . لكن ذلك كله بإذن الله العليم الحكيم قال الله تعالى حكايةً عن موسى ﷺ :

﴿ رَبُّنَا الَّذِيَ أَعْطَى كُلَّ شَيءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ [1] .

(١) سورة طه : ٥٠ .

الباب الثالث
في بيان حالها معه في المنام

أقول : النوم حالة طبيعة تتعطل معها القوى المدركة بسبب ترقي البخارات إلى الدماغ .

وأما النفس : فالظاهر أنها مدركة في الجملة ، ثم إن النوم يكون ضدًا للقدرة والاختيار ـ عند الجمهور ـ فلهذا لم يعتبر النوم البيع والشراء ، والإسلام والردة ، والطلاق والعتاق لانتفاء الاختيار فيها . حتى إن كلام النائم بمنزلة ألحان الطيور ، ولهذا ذهب المحققون إلى أنه ليس بخبرٍ ولا إنشاءٍ ، ولا يتصف بالصدق والكذب ، وعند شرذمةٍ أن النوم ليس بضدٍ للقدرة ، فيكون بعض الأفعال مقدورًا ، هذا وإنه ضد للعلم والإدراكات ـ باتفاق العقلاء ـ .

وقيل : هو ضد الإدراك المتعلق بالقوى الظاهرة . فالرؤيا أي (إدراك النائم حالة نومه من غير أضغاث أحلام) إدراك كإدراك اليقظان لمدركاته ، وهو مذهب الأستاذ أبي إسحاق . فإن الإدراك قائم بجزءٍ من أجزاء الإنسان غير ما يقوم به النوم من أجزائه ، وإن كان النوم ضدًا للإدراك عنده . فلا يلزم اجتماع الضدين في كل واحد .

وأما غيره من المتكلمين فيقولون : الرؤيا . خيال باطل [١] .

---

(١) أقول : إن أقوامًا يقولون عن هذه المنامات أنها كلها عبارة عن علومٍ ، وعقائد في النفس ، تظهر لصاحبها عند انقطاع نفسه بالشواغل البدنية بالنوم .

هذا القول السقيم إنما يقول به من ينكرون الأسباب ، لأن النفس عندما علمت ما علمته في المنام لم يكن لها سبق علم بهذا الأمر الذي أخبر به الميت ، بل لم يخطر ببال المرء أبدًا أن يفكر في هذا الأمر .

تأمل من رأى صاحبًا له ، فأخبره بأمرٍ لا يعلمه إلا صاحب الرؤيا ، أو أخبره بمالٍ دفنه ، أو حذر من شر يحدث فكان الأمر كما قال ، أو أخبره بحدوث خصب أو جدب ، أو حدوث الموت لبعض الأقرباء فكان ما أخبر به .

أقول : هو باطل ، والحق : ما ذهب إليه الأستاذ ، يشهد بذلك الآيات والأحاديث . قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم ﷺ :

﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ ... ﴾ (٢) .

وقال حكاية عن يوسف عليه السلام .

﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ (٣)
وقال : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ﴾ (٤) وقال النبي ﷺ :

« الرؤيا الصالحة جزءٌ من ست وأربعين جزءًا من النبوة (٥) إلى غير ذلك من الأدلة الشاهدة لها .

قال بعض العلماء : إن المنامات تكشف عن أحوال الموتى ، فمن ذلك رؤيا رسول الله ﷺ ، وقد قال ﷺ :

« من رآني فقد رآني حقًا . فإن الشيطان لا يتمثل بي » (٦) .

وحكي عن بعض الشيوخ قال :

رأيت رسول الله ﷺ ـ فقلت : يا رسول الله . استغفر لي . فأعرض عني ، فقلت : يا رسول الله . إن سفيان بن عيينة حدثنا عن محمد بن المنكدر . عن جابر بن عبد الله . أنك لم تسل قط شيئًا ، فقلت لا ؟! فأقبل عليَّ فقال :ـ « غفر الله لك » (٧) .

---

(٢) سورة الصافات : ١٠٢ .

(٣) سورة يوسف : ٤ .

(٤) سورة الفتح : ٢٧ .

(٥) حديثٌ صحيح . أخرجه البخاري (٩/ ٣٩) ومسلم (٢٢٦٣) ، وأحمد (٢ / ٣٦٨) وغيرهما ، وانظر منامات الرسول ﷺ من تأليفي .

(٦) حديثٌ صحيح . أخرجه البخاري (٩/ ٤٢ ، ٤٣) ومسلم (٢٢٦٦) ، وانظر : المصدر السابق .

(٧) حديثٌ ضعيفٌ . أخرجه ابن أبي الدنيا (١١٤) في المنامات عن إبراهيم بن يعقوب عن شيخ =

وبيـان ذلـك أن القلب كمرآة تتراءى فيهـا الصور وحقـائق الأمـور . وكل مـا قـدره الله تعـالى من ابتـداء خلق العـالم إلى آخره مسطور ومثبت في خلق خلقه الله تعالى . يعبر عنه تارة باللوح ، وتارة بالكتاب ، وأخرى بإمـام مبين كما ورد في القرآن ذلك ، ولا تظن أن اللوح من خشبٍ أو حديـد ، وأن ذلـك الكتــاب من رقٍ أو ورق . بـل ينبغي أن يفهم قطعًـا أن لــوح الله تعــالى لا يشبه لوح الخلق ، وكتـاب الله تعـالى لا يشبـه كتـاب الخلق . كما أن ذاتـه وصفاته لا تشبه ذات الخلق وصفاتهم بل إن كنت تطلب لـه مثـالاً يقربـه إلى فهمك فاعلم أن ثبوت المقادير في اللوح أيضًا هو ثبوت كلمات القرآن وحروفه في دماغ حافظ القرآن وقلبـه ، فـإنـه مسطور فيـه . حتى كأنـه حـديث يقرأه وينظر إليـه ، ولو فتشت دمـاغـه جـزءًا جـزءًا . لم تشـاهـد من ذلـك الخـط شيئًا . فاللوح كمرآة تظهر فيها الصور .

والقلب إذا تخلص من شواغله ومـن شهواتـه ومقتضى حواسـه وغير ذلـك ، وكان صافيًا في جوهره . ارتفع الحجـاب بينـه وبين اللوح المحفوظ ، فوقع فيـه شيء ممـا في اللوح كما تقـع الصـورة من مرآة في مرآة أخرى إذا ارتفـع الحجـاب بينهما ، هذا ثم إن لقلب الإنسان عينًا جعل عليها غشاوة كثيفـة من شهواتـه ومن أشغاله الدنيوية فصار لا يبصر بها .

ويكاد لا يتصـور أن يبصر شيئًـا من عـالم الغيب والملكـوت مـا لم تنقشـع تلك الغشاوة عن عيني قلبه .

ولما كانت تلـك الغشـاوة منقشعـة عن أعين الأنبيـاء ـ صلوات الله عليهم ـ فلا جرم أنهم نظروا إلى الملكوت ، وشاهدوا عجائبه ، والموتى في عالم الملكوت . فشاهدوهم وأخبروا عنهم .

= ذكر عنه عبادة قال : رأيت النبي ﷺ . فذكره . في سنده جهالة أحد الرواة .

فإن الرؤيا الصالحة لا تحصل إلا بانقشاع تلك الغشاوة عن القلب ، فلذلك لا يوثق إلا برؤيا الإنسان الصالح الصادق ، فمن كثر كذبه لم تصدق رؤياه غالبًا ومن كثر فساده ومعاصيه . أظلم قلبه . وكان ما يراه . أضغاث أحلام غالبًا كما يراه المبرسم [٨] ، ولذلك أمر رسول الله ﷺ ـ بالطهارة عند النوم لينام طاهرًا (   ) [٩] .

وذلك إشارة إلى طهارة الباطن بالطريق الأولى . فإن الباطن هو الأصل فيكون طهارة الظاهر تكملة لطهارة الباطن وتنبيهًا عليها .

فالرؤيا : معرفة شيء من عالم الغيب يحصل للقلب في النوم ، وهي عجائب صنع الله تعالى ، وبدائع فطرة الإنسان ، وهي من أوضح الأدلة على عالم الملكوت والناس عنه غافلون كغفلتهم عن سائر العجائب .

فالقول في تحقيق حقيقة الرؤيا يقتضي زيادة بسط في الكلام . لكن فيما ذكرناه كفاية (   ) [١٠] من الأنام .

---

(٨) علة بالرأس يهذي فيها المرء .

(٩) بياضٌ بالأصل بمقدار كلمة .

(١٠) انظر السابق .

الباب الرابع

في شرح حالها معه عند الموت

قال الله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾(١) .

والموت : عدم الحياة عما من شأنه أن يكون حيًا : فيكون التقابل بين الحياة والموت تقابل الملكة والعدم . كتقابل البصر والعمى .

وقيل : الموت . أمر وجودي يخلقه الله تعالى في الحي فيكون التقابل بينهما تقابل التضاد . كتقابل السواد والبياض ، ولذا قال البعض . إن ا لموت تغير حال فقط فحقيقة الإنسان نفسه وروحه ، وهي باقية [......] (*) من حيث إنه سلب منه عينه وأذنه ولسانه ويده وجميع أعضائه ، وسلب منه أيضًا أهله وولده وأقاربه وسائر معارفه وسلب منه خيله ودوابه وغلمانه ودوره وعقاره وسائر أملاكه .

ولا فرق بين أن تسلب هذه الأشياء من الإنسان أو يسلب الإنسان من هذه الأشياء فإن الموت هو الفراق ، والفراق يحصل تارة بأن ينهب مال الرجل ، وتارة يسبي الرجل عن المال ، والألم واحد في الحالتين وحاصله سلب الإنسان عن أحواله بإزعاجه إلى عالم آخر لا يناسب هذا العالم ولا يمكن كشف الغطاء عن حقيقة الموت إذ لا يعرف الموت من لا يعرف الحياة ومعرفة الحياة بمعرفة حقيقة الروح في نفسها ، وبإدراك ماهية ذاتها ولم يؤذن لرسول الله ﷺ أن يتكلم فيها ولا أن يزيد على أن يقول : ﴿ **الرُّوحُ مِنْ أَمرِ ربّي** ﴾(٢) .

---

(١) سورة آل عمران : ١٨٥ .

* بياضٌ في الأصل .

(٢) سورة الإسراء : ٨٥ .

فليس لأحد من علماء الدين أن يكشف عن سر الروح وإن اطلع عليه ، وإنما المأذون فيه . ذكر حال الروح . فعلم من هذا فساد ظن من قال : إن موت الإنسان كموت الحيوانات ، وجفاف النباتات ، وكذا فساد ظن من قال : إنه ينعدم بالموت ولا يتألم بعقاب ولا يتنعم بثواب ما دام في القبر إلى أن يعاد وقت الحشر . إلى غير ذلك من الظنون الفاسدة .

فيكون الموت عبارة عما به تترك النفس استعمال آلاتها ، وهي الأعضاء . مجموعها يسمى بدنًا . كما يترك الصانع مثلاً استعمال آلاته .

هذا ، ثم إن للموت سكرة بعد سكرة ، وشدة سكرة الموت لا يعرفها إلا من ذاقها ، ومن لم يذقها إنما يعرفها إما بالاستدلال بأحوال الناس في النزع على شدة ما هم فيه ، وإما بالقياس على الألم الذي أدركه . لكن ألم الموت أشد من ذلك فإنه يهجم على نفس الروح بخلاف سائر الآلام فإنها تهجم أولاً عضوًا من الأعضاء ، فيسري أثرها إلى الروح . فبقدر السراية إليه يتألم وأما ألم النزع فسارٍ إلى جميع أجزاء الروح . حتى لم يبق جزءٌ من أجزاء الروح المنتشر في أعماق البدن إلا وقد حلَّ فيه .

سئل رسول الله ﷺ عن الموت فقال :-

« إن أهون الموت بمنزلة حسكة [٣] في صوف ؛ فهل تخرج الحسكة إلا ومعها صوف ؟! » [٤] .

وحكي عن إبراهيم ﷺ : « لما مات . قال الله تعالى له : كيف وجدت

---

(٣) نباتٌ له ثمرة خشنة تعلق بأصواف الغنم ، وقيل : شوكة صلبة معروفة .

(٤) حديثٌ ضعيفٌ . أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب « ذكر الموت » مرسلاً عن شهر بن حوشب كما في المغني للعراقي (١/ ٤٤٧) .

الموت ؟ قال : كسُفُّودٍ[٥] محمي جعل في صوف رطب . ثم جذب . فقال : أمَا إنا فقد هوَّنا عليك الموت »[٦] .

وقال كعب : من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها[٧] ، وسئل عن الموت فقال : الموت كغصن شوك أدخل في جوف رجل فجذبه إنسانٌ ذو قوة فقطع ما قطع وأبقى ما أبقى[٨] .

وكان ابن سيرين إذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه[٩] [على حدته][١٠] .

ثم إن سكرة الموت رحمة في حق المؤمن فإنها سبب نيل درجة في الآخرة ، قالت عائشة رضي الله عنها :

« لا أغبط أحدًا هون عليه الموت بعد الذي رأيت من شدة موت رسول الله ﷺ »[١١] .

---

(٥) السفود : حديدة ذات شعب مُعَقَّفة معروف يُشوى به اللحم .

(٦) الخبر من الإسرائيليات . أخرجه ابن أبي الدنيا في « ذكر الموت » وعنه أورده الغزالي في الإحياء (٤/ ٤٤٧) .

(٧) أخرجه أبو نعيم (٦/ ٤٤) في الحلية من طريق ابن أبي الدنيا عن محمد بن الحسين عن الحارث بن خليفة عن دويد أبي سليمان عن أبي عبد الله الشامي عن كعب به .

- وعن ابن أبي الدنيا في « ذكر الموت » أورده الغزالي في الإحياء (٤/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦) .

(٨) أخرجه أبو نعيم (٦/ ٤٤) في الحلية عن ابن أبي الدنيا عن خالد بن خداش عن حماد بن زيد عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة به ، وفيه انقطاعٌ وعنعنة ابن جريج ، وهو مدلسٌ .

- أورده الغزالي (٤/ ٤٤٨) في الإحياء .

(٩) ما بين المعكوفتين من المراجع والمصادر الأخرى .

(١٠) أثرٌ صحيح . أخرجه أحمد (ص/ ٣٧٤) في الزهد من طريق سفيان عن ابن زهير به ، وأبو نعيم (٢/ ٢٧٢) في الحلية عن إبراهيم الحربي عن إسحاق بن إسماعيل ومحمد بن عباد عن سفيان ابن عيينة عن زهير الأقطع به .

- أورده ابن الجوزي (٣/ ٢٤٧) في صفة الصفوة ، والذهبي (٤/ ٦١٠) في سير أعلام النبلاء ، والغزالي (٤/ ٤٣٥) في الإحياء .

(١١) إسناده ضعيفٌ . أخرجه الترمذي (٩٨٦) من طريق مبشر الحلبي عن عبد الرحمن بن العلاء =

وروي أنه إذا بقي على المؤمن شيء من درجاته لم يبلغها بعمله . شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وكربه درجته في الجنة ، وإن كان للكافر معروف لم يجز به في الدنيا هُوِّن عليه الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير إلى النار .

ومن دواهي الموت أيضًا : مشاهدة ملك الموت ودخول الروع منه . بحيث لا يعبر عنه لعظم هوله ورؤيته ، ولا يعلم حقيقة ذلك إلا من يشاهده .

روي أن إبراهيم ـ خليل الرحمن ـ عليه السلام ـ سأل ملك الموت أن يريه كيف يقبض روح المؤمن ؟ . قال له « اصرف وجهك عني فصرف ، ثم نظر إليه فرآه في صورة شاب حسن الصورة . حسن الثياب ، طيب الرائحة . حسن البشرى . فقال له : والله لو لم يلق المؤمن من السرور شيئًا سوى وجهك لكفاه ، ثم قال : أرني كيف تقبض روح الكافر ؟! فقال له : لا تطيق ذلك . قال : بلى أرني قال : اصرف وجهك عني ، فصرف وجهه عنه ، ثم نظر إليه ، فإذا صورة إنسان أسود ورجلاه في الأرض ورأسه في السماء كأقبح ما إن يُرَى من الصور تحت كل شعرة من جسده لهيب نار . فقال له : لو لم يلق الكافر سوى نظرةٍ إلى شخصك لكفاه »[١٢] .

روي في سبب قبض ملك الموت أرواح الخلق : أن الله عز وجل ـ أرسل جبريل عليه السلام ليأتيه من تربة الأرض فأتاها ليأخذ منها فاستعاذت بالله فأعاذها . فأرسل ميكائيل . فاستعاذت منه فأعاذها ، فأرسل عزرائيل

= عن أبيه عن ابن عمر عن عائشة به .

وفي سنده عبد الرحمن بن العلاء ، وهو مقبولٌ أي يتابع على حديثه ، وإلا فهو لين الحديث ، ولم أجد له أي متابع ، والله أعلم .

(١٢) الخبر من الإسرائيليات . أخرجه ابن أبي الدنيا في « ذكر الموت » عن ابن مسعود ، وابن عباس ، انظر : الحبائك للسيوطي (١٢٥) ، شرح الصدور (ص/ ٤٥) ، والإحياء (٤/ ٤٤٨) .

فاستعاذت منه . فلم يعذها ، وأخذ منها ، فقال الرب تبارك وتعالى : أما استعاذت بي منك ؟ قال : نعم . قال : فهلاَّ رحمتها كما رحمها صاحباك ؟! قال : يارب . طاعتك أوجب عليَّ من رحمتي إياها ، قال الله عز وجل : اذهب فأنت ملك الموت سلَّطتك على قبض أرواحهم . فبكى . فقال : ما يبكيك ؟ فقال : يارب إنك تخلق من هذا الخلق أنبياء وأصفياء ومرسلين ، وإنك لم تخلق خلقًا أكره لهم من الموت . فإذا عرفوني بغضوني وشتموني . قال الله عز وجل إني سأجعل للموت عللاً وأمراضًا ينسبون الموت إليها ولا يذكرونك معها . فخلق الأوجاع وسائر الحتوف (١٣) . فعلم من هذا أن التوفي يسند إلى الله تعالى كما يسند إلى ملك الموت وأعوانه من الملائكة ، قال الله عز وجل :

﴿ **الله يتوفى الأنفس حين مَوْتِها** ﴾ (١٤) . وقال تعالى :

﴿ **قل يتوفاكم مَلَكُ الموت الذي وُكلَ بكم** ﴾ (١٥) ، وقال :

﴿ **الذين تتوفاهم الملائكة طيبين** ﴾ (١٦) وقال :

﴿ **توفته رُسُلنا وهم لا يفرطون** ﴾ (١٧) وقال :

﴿ **الذين تتوفاهم الملائكةُ ظالمي أنفسهم** ﴾ (١٨) .

وفي الخبر : أن ملك الموت وملك الحياة تناظرا . فقال ملك الموت : أنا أميت الأحياء . وقال ملك الحياة : وأنا أحيي الموتى فأوحى الله عز وجل -

---

(١٣) انظر السابق .

(١٤) سورة الزمر : ٤٢ .

(١٥) سورة السجدة : ١١ .

(١٦) سورة النحل : ٣٢ .

(١٧) سورة الأنعام : ٦١ .

(١٨) سورة النحل : ٢٨ .

إليهما : كونا على عملكما ، وما سُخِّرتما له من الصنع وأنا المميت والمحيي . لا يميت ولا يحيي سواي [١٩] . هكذا ذكره أبو حامد في : الإحياء .

ثم إن الخوف من الموت عامة أشد وأبلغ من جميع المخاوف ، وجهات الخوف منه كثيرة .

أما الجهل بالموت ماذا هو ؟! إما خوف عقوبةٍ بعده ، وإما التأسف على ما يتخلف بعده من أهلٍ ومال ، وإما غير ذلك . فإذن الجهل هو المخوف منه بالغرض ، والموت هو المخوف منه بالعرض . فخوف الجهل هو الباعث للناس على طلب العلم والتعب فيه . فإن العلم حياة الروح حقيقةً والجهل موتها ، ولذا ترك الأحبار أمور الدنيا واستحقروها ، وحصلوا علوم الآخرة واستعظموها . قال الله تعالى :

﴿ **وقل رب زدني علمًا** ﴾ [٢٠] .

فلذلك قيل : الحياة حياتان . إحداهما فانية ، والأخرى باقية . فالأولى : حياة الإنسان بالمآكل والمشارب والشهوات ، وثانيتهما : موت باختيار ، وهو ترك الشهوات ، وإليه أشار النبي ﷺ :

« كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ، وعُدَّ نفسك من أصحاب القبور » [٢١] ولهذا قيل : مت بالإرادة تحيا بالعلم .

إذا عرفت مما ذكر أن الجهل كيف يزول عن النفس ، فقس على زواله

---

(١٩) الخبر من الإسرائيليات .

(٢٠) سورة طه : ١١٤ .

(٢١) حديثٌ صحيح . أخرجه البخاري (٨/ ١١٠) وابن المبارك (٥) في الزهد ، والترمذي (٢٣٣٣) ، وابن ماجه (٤١١٤) والبغوي (١٤/ ٢٣١) في شرح السنة ، والطبراني (١/ ٣٠) في الصغير ، وأبو نعيم (١/ ٣١٣) (٣/ ٣٠١) في الحلية ، والخطيب (٤/ ٩٦) (١٣/ ٤٧٣) في تاريخ بغداد .

زوال سائر جهات خوف الموت . قال الله تعالى :

﴿ يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ . إلا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [٢٢] .

فإذن : الموت ينبغي أن يكون نصب عين الجنان وورد اللسان . قال الله تعالى :

﴿ قُلْ إنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإنَّهُ مُلاَقِيكُمْ . ثُمَّ تُرَدُّونَ إلى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [٢٣] .

وقال رسول ﷺ :

« أكثروا من ذكر الموت هازم اللذات » [٢٤] .

ثم إن موت الذاكر أربعة أقسام [٢٥] . موت المتأسف على الأهل والمال . فذكره الموت لا بأس به .

والثاني : موت التائب . فذكره إياه لتمام التوبة ، ومثله كالذي يتأخر عن لقاء الحبيب اشتغالاً بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه ، ولا يعد كارهًا للقائه وعلامة صدق هذا : أن يكون دائم الاشتغال بالاستعداد له . لا شغل له سواه .

والثالث : موت العارف . فإنه يذكر الموت دائمًا لأنه موعد لقائه لحبيبه ، والمحب لا ينسى قط موعد اللقاء ، ومثل هذا يستبطىء مجيء الموت ، ويحب

---

(٢٢) سورة الشعراء : ٨٨ ـ ٨٩ .

(٢٣) سورة الجمعة : ٨ .

(٢٤) حديثٌ صحيح . أخرجه الترمذي (٢٣٠٧) والنسائي (٤/ ٤) وابن ماجه (٤٢٥٨) ، من حديث ابن عمر ، وأحمد (٢/ ٢٩٣) وابن حبان (٤/ ٢٨٢ ، ٢٨٣) ، والحاكم (٤/ ٣٢١) من حديث أبي هريرة ، وأبو نعيم (٩/ ٣٥٥) ، والبيهقي (٤٨٣٣) في شعب الإيمان من حديث أنس ، والبيهقي (٨٢٨) من حديث أبي سعيد الخدري . وللحديث طُرق أخرى .

(٢٥) نقله المصنف بتصرفٍ عن الإحياء (٤/ ٤٣٤) .

مجيئه ليتخلص من دار العاصين وينتقل إلى دار المتقين . كما روي عن حذيفة رضي الله عنه أنه لما حضرته الوفاة قال :ـ

حبيب جاء على فاقةٍ . لا أفلح من ندم « اللهم إن كنت تعلم أن الفقر أحب إليّ من الغنى ، والسقم أحب إليَّ من الصحة ، والموت أحب إليَّ من الحياة . فسهّل عليَّ الموت حتى ألقاك » [٢٦] .

والرابع : موت المفوض ، والمُسَلِّم . فإنه لا يختار لنفسه موتًا ولا حياة . بل يكون أحب الأشياء إليه أحبها إلى مولاه وربه . فهذا أمر قد انتهى به فرط المحبة إلى مقام التسليم والرضى ، وهذ هو الغاية والمنتهى . فذكر الموت إنما يكون لتحصيل مرضاة ربه .

وعلى كل حالٍ . ففي ذكر الموت ثواب وفضل ، وإن كان الذاكر منهمكًا في الدنيا فإنه يحصل له بذكره الموت . التجافي عن الدنيا إذ ينغص عليه نعيمه ويكدر عليه صفو لذته ، وكل ما يكدر على الإنسان اللذات والشهوات فهو من أسباب النجاة . وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يجمع في كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة . ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة [٢٧] وقال لبعض العلماء عظني ؟ فقال : أنت أول خليفة يموت . قال : زدني . قال : ليس من آبائك أحد إلى آدم إلا ذاق الموت ، وقد جاءت

---

(٢٦) أثر صحيحٌ أخرجه الربعي (ص/ ٥٣) في وصايا العلماء من طريق إسحاق بن يسار عن أبي ربيعة عن حماد عن يونس بن عبيد وثابت وعلي بن يزيد وحميد بن الحسن عن جندب البجلي به . ثم أخرجه عبد الملك الرقاشي عن إبراهيم بن بشار عن ابن عيينة عن هارون المدني به .

- وأخرجه أبو نعيم (١/ ٢٨٢) في الحلية من طريق محمد بن يزيد الأدمي عن يحي بن سليم عن إسماعيل بن كثير عن زياد مولى ابن عباس قال : حدثني من دخل على حذيفة في موته ثم أخرجه من طريق إبراهيم الحربي عن سليمان بن حرب عن السري بن يحي عن الحسن به .

•• أورده ابن الجوزي (١/ ٦١٤) في صفة الصفوة .

(٢٧) أورده الذهبي (٥/ ١٣٨) في السير ، والغزالي (٤/ ٤٣٥) في الإحياء .

نوبتك . فبكى عمر لذلك [٢٨] .

وحكي عن هارون الرشيد أنه انتقى بيده أكفانه عند الموت [وهو ينظر إليها] [٢٩] ويقول :

﴿ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَه . هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَه ﴾ [٣٠] .

وحكي عن المأمون أنه فرش رمادًا عند موته واضطجع عليه ، وكان يقول : يامن لا يزول ملكه . ارحم من قد زال ملكه [٣١] .

وأنشد البعض للاعتبار بذكر الموت :

ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه   بدمع يضاهي الوبل حال مصابه .
ومثّل لعينيك الحِمامَ ووقعه   وروعة ملقاه ومطعم صابهِ .

ثم إن العبد ينبغي أن يكون وقت الاحتضار حسن الظن والرجاء . قال رسول الله ﷺ :

« **يقول الله تعالى : ﴿ أنا عند ظن عبدى بي . فليظن بي ما شاء ﴾** [٣٢] » .

ودخل النبي ﷺ على شابٍ محتضر ورأى ما به فقال : « كيف تجدك ؟ »

---

(٢٨) الإحياء (٤/ ٤٣٦) .

(٢٩) سقط من الأصل ، واستدركته من مصدره الإحياء (٤/ ٤٦٥) .

(٣٠) سورة الحاقة : ٢٨ ـ ٢٩ .

(٣١) أورده السيوطي (ص/ ٥٠٠) في تاريخ الخلفاء وعزاه للمسعودي ، وأورده الغزالي (٤/ ٤٦٥) .

(٣٢) حديثٌ صحيح . أخرجه البخاري(٩/ ١٤٨) ، ومسلم (٢٦٧٥) ، وأحمد (٢/ ٣١٥ ، ٤١٣ ،٥١١؛ ٥٤٣) من حديث أبي هريرة ، وأخرجه أحمد (٣/ ٤٩١) (٤/ ١٠٦) وابن المبارك (٩٠٩) في الزهد ، وابن حبان(٧١٦) ، وابن أبي الدنيا (٢) في حسن الظن بالله ، والحاكم (٤/ ٢٤٠) وصححه ، وأقره الذهبي كلهم من حديث واثلة بن الأسقع .

فقال : أرجو الله وأخاف ذنوبي . فقال رسول الله ﷺ : « ما اجتمعا في قلب عبدٍ في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو ، وأمنه من الذي يخاف » (٣٣) .

ثم إن الروح إذا بلغ الحلقوم فعند ذلك ينقطع نظر الإنسان عن الدنيا وأهلها ويغلق عندها باب التوبة ، وتحيط به الحسرة والندامة .

قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر » (٣٤) .

ثم إن الروح إذا قبض تبعه البصر . قالت أم سلمة :

دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره ، فأغمضه . ثم قال : « إن الروح إذا قبض تبعه البصر » (٣٥) .

وروي عن النبي ﷺ أن الميت أول ما يشق بصره لرؤية المعراج ، وهو : سُلَّمٌ بين السماء والأرض من زمردة خضراء ـ أحسن ما رؤي ـ فذلك حين يمد بصره إليه (٣٦) .

ومن الدواهي العظمى والمصائب الكبرى . سوء الخاتمة . حتى تمنى بعض الصالحين أن يبقى في النزع أبدًا ، ولا يبعث لثوابٍ ولا لعقاب . لخوف سوء الخاتمة . فخوف سوء الخاتمة قد قطع قلوب العارفين ـ ختم الله لنا بحسن الخاتمة

---

(٣٣) حديثٌ حسنٌ . أخرجه الترمذي (٩٨٨) وابن ماجه (٤٢٦١) ، وابن أبي الدنيا (٣١) في حسن الظن بالله ، والبغوي (١٤٥٦) في شرح السنة .

(٣٤) حديثٌ حسنٌ . أخرجه الترمذي (٣٥٣٧) ، وأحمد (٢/ ١٣٢) ، وابن حبان (٢٤٤٩) والحاكم (٤/ ٢٥٧) من حديث ابن عمر .

(٣٥) حديثٌ صحيح . أخرجه مسلم (٩٢٠) ، وأبو داود (٣١١٨) ، وأحمد (٦ / ٢٩٧) وابن ماجه (١٤٥٤) .

وابن سعد (٣/ ١ / ١٧٢) في طبقاته ، والبغوي (١٤٦٧) في شرح السنة والبيهقي (٣/ ٣٨٤) في سننه الكبرى من حديث أم سلمة .

(٣٦) لم أقف عليه .

بمنه وكرمه ـ .

ثم إن الأرض جعلت لملك الموت مثل الطست يتناول من يتناوله ، وما من أهل بيتٍ إلا ويطوف عليهم في كل يومٍ مرتين أو أكثر ـ على ما ورد به الخبر [٣٧] .

حكي أن ملك الموت دخل على سليمان بن داود ـ عليهما السلام ـ فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه ، ويديم النظر إليه ، فلما خرج قال الرجل لسليمان : من هذا ؟! قال : هذا ملك الموت . قال : لقد رأيته ينظر إليَّ كأنه يريدني . قال : فما الذي تريد ؟ قال : أريد أن تخلصني منه . فتأمر الريح أن تحملني إلى أقصى الهند ، فأمر بها ففعلت الريح ذلك ، ثم قال سليمان ـ عليه السلام ـ لملك الموت بعد أن أتاه ثانيًا : رأيتك تديم النظر إلى أحد جلسائي . قال : نعم ، كنت أتعجب منه لأني كنت أمرت لأقبض روحه بأقصى الهند في ساعةٍ فرأيته وكان عندك فعجبت من ذلك [٣٨] .

(٣٧) هذه إسرائيليات . انظر : الحبائك (ص/ ٣٩) وشرح الصدور (ص/ ٤٦) وكلاهما للسيوطي .

(٣٨) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ، كما في الحبائك (١٧٣) ، وشرح الصدور (ص/ ٤٧) الإحياء (٤/ ٤٥٢) .

الباب الخامس في :

(بيان مفارقتها عنه بعد الموت وفي كشف حالها معه في القبور وما يتعلق بذلك)

أقول : الأرواح إذا قبضت فلها حالتان :

أما أرواح المؤمنين السعداء . فالملائكة يرفعونها حتى يوقفونها بين يدي الله تعالى فيسألها ، فيقول لهم : سيروا بها ، وأروها مقعدها من الجنة ، فيسيرون بها في الجنة قدر ما يغسل الميت ، فإذا غُسِّل وكُفِّن . ردت وأدرجت بين كفنه وجسده ، فإذا حمل على النعش فإنه يسمع كلام الناس . من تكلم بخيرٍ ومن تكلم بشر . قال رسول الله ﷺ : « إذا حمل الميت على نعشه ترفرف روحه فوق النعش ، ويقول : ياأهلي وياولدي . لاتلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي ، جمعت المال من حِلِّه ومن غير حله ، ثم تركته لغيري ، والتبعةُ عليَّ . فاحذروا مثل ما حل بي » [١] .

وروي عن يحيي بن أكثم ـ وقد رؤي في المنام ـ فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : أوقفني بين يديه ، ثم قال : ياشيخ السوء . فعلت كذا وفعلت كذا . فقلت : يارب . ما بهذا حدثت عنك . قال : فما حدثت عني يايحيي ؟ فقلت : حدثني الزهري عن معمر . عن عروة عن عائشة . عن النبي ﷺ . عن جبريل . عنك سبحانك . أنك قلت : ﴿ **إني لأستحي أن أعذب شيبة شابت في الإسلام** ﴾ [٢] . فقال : يايحيي : صدقت ، وصدق محمد ، وصدق

---

(١) حديثٌ ضعيفٌ . تفرد به ابن أبي الدنيا في القبور ، وعنه أخرجه صاحب تاريخ جرجان (١٧٨) ، والديلمي كما في زهر الفردوس (٤/ ٢٠) من طريق ابن أبي الدنيا عن عبد الرحمن بن صالح المحاربي عن الخليل بن مرة عن زيد بن أسلم عن عمر به .

فيه تدليس المحاربي ، وابن مرة من الضعفاء كما في التقريب (١/ ٢٨٨) .

(٢) حديثٌ منكر . أخرجه الخطيب (١٤/ ٢٠٣) في تاريخ بغداد من طريق محمد بن أحمد المفيد

جبريل ، وصدقت أنا . اذهب وقد غفرت لك ؟؟ [٣] .

وعن ابن نباتة ـ وقد رؤى في المنام ـ فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : أوقفني بين يديه الكريمتين ، وقال :

(أنت الذي تلخص كلامه . حتى يقال : ما أفصحه ؟ قلت : سبحانك . إني كنت أصفك قال : قل كما كنت تقول . قلت : أبادهم الذي خلقهم ، وأسكتهم الذي أنطقهم ، وسيجدُّهم كما خلقهم ، وسيجمعهم كما فرقهم . قال لي : صدقت . اذهب فقد غفرت لك) [٤] .

وعن منصور بن عمارٍ أنه : رؤي في المنام . فقيل له . ما فعل الله بك ؟ قال : أوقفني بين يديه ، وقال : (بماذا جئتني ؟ قلت : بستٍ وثلاثين حجة . قال : ما قبلت منها حجة واحدة ، ثم قال : بماذا جئتني ؟ قلت : بثلثمائةٍ وستين ختمة للقرآن . قال : ما قبلت منها واحدة . قال : فبماذا جئتني يامنصور ؟ قلت : جئتك بك . قال سبحانه : الآن جئتني . اذهب فقد غفرت لك) [٥] .

هذا ، وإن المؤمنين المقصرين فيردهم أعمالهم . فمنهم من يرده صلاته ، ومنهم زكاته ، ومنهم يرده صومه إلى غير ذلك من أعمال البر التي لا يراعيها حق رعايتها ولا يعرفها حق معرفتها إلا العلماء الأبرار ، ومن الناس من إذا

عن عمر بن سعد الطائي عن محمد بن سلم الخواص به .

في سنده المفيد ، وهو متهمّ ، وكان يروي المناكير عن مجاهيل ، وقال أبو الوليد الباجي : أنكرت على أبي بكر المفيد أسانيد ادَّعاها .

انظر : الميزان (٣/ ٤٦١) ، اللسان (٥/ ٤٥) .

(٣) انظر السابق .

(٤) أورده ابن كثير (١١/ ٣٠٣) في البداية والنهاية ، والقائل لابن نباتة الرسول ﷺ وليس رب العزة ، وأشار إلى ذلك الذهبي في السير (١٦/ ٣٢٢) .

(٥) انظر : شرح الصدور (ص/ ٢٨٣) .

انتهى إلى الكرسي . سمع النداء . ردوه ، ومنهم يرد من الحجب المحذور به على العرش ، وهي ثمانون ألفًا من السرادق . لكل سرادقٍ ثمانون ألف شرافة ، على كل شرافةٍ ثمانون ألف قمر يهلل الله ويسبحه ويقدسه ، فإذن : إنما يصل إلى الله ، ويقف بين يديه عارفوه .

هذا ، ثم إن النصارى واليهود مردودون من الكرسي إلى أجداثهم ـ أي ؛ قبورهم ، هذا إذا كانوا على شريعتهم قبل أن تكون منسوخة ، ويشاهدون الغيل والدفن .

وأما روح المنافق فيرد ممقوتًا مطرودًا إلى قبره وحفرته . هذا ، وإن الكافر تؤخذ روحه عنفًا . فإذا قبضه عزرائيل (٦) ناوله زبانية قباح الوجوه ، سود الثياب ، فيرد من سماء الدنيا فتهوي به الريح في مكانٍ بعيد . قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَآءِ وَلا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ . وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴾ (٧) ، وقال الله تعالى :

﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ (٨) أي بعيد ، فإذا انتهى إلى الأرض ابتدرته الزبانية ، وسارت به إلى سجين ، وهي صخرة عظيمة يأوي إليها أرواح الفجار ، وحال روح المشرك كحال روح الكافر على ما عرفت .

هذا ، وإن الميت يتبعه ثلاث إلى قبره ، يرجع منه البعض ويبقى فيه الآخر .

---

(٦) هذه التسمية لملك الموت لم تأت إلا في الإسرائيليات .

(٧) سورة الأعراف : ٤٠ .

(٨) سورة الحج : ٣١ .

عن أنس بن مالك . أن رسول الله ﷺ قال :

« يتبع الميت ثلاث ، فيرجع اثنان ، ويبقى واحدٌ . يتبعه أهله وماله وعمله ، فيرجع أهله وماله ، ويبقى عمله » (٩) .

ثم إن القبر أفظع ، وهو بيت الدود والظلمة والفتنة والوحدة والوحشة . قال رسول الله ﷺ :

« ما رأيت منظرًا إلا والقبر أفظع منه » (١٠) ، وقال النبي ﷺ :

« القبر إما حفرة من حفر النار ، وإما روضة من رياض الجنة » (١١) .

وكان عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ إذا وقف على قبر يبكي حتى يبل لحيته ، فقيل له : تذكر الجنة والنار ولا تبكي ، وتبكي من هذا ؟! قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « القبر أول منزل من منازل الآخرة ، فإن نجا منه فما بعده أيسر ، وإن لم ينج منه فما بعده أشد » (١٢) .

وعن البراء ـ رضي الله عنه ـ أنه قال :

كنا مع رسول الله ﷺ في جنازة . فجلس على شفير القبر فبكى ، وأبكى

---

(٩) حديثٌ صحيح . أخرجه البخاري(٨/ ١٣٤) ، ومسلم (٢٩٦٠) ، وابن المبارك (٢٢٤) في الزهد ، وأحمد (٣/ ١١٠) والترمذي (٢٣٧٩) ، والنسائي (٤/ ٥٣) ، وابن حبان (٥/ ٤٢) .

(١٠) حديثٌ حسنٌ . أخرجه الترمذي (٢٣٠٨) ، وابن ماجه (٤٢٦٧) ، وأحمد (١ /٦٤) ، والحاكم (١/ ٣٧١) وغيرهم .

(١١) حديثٌ ضعيفٌ . أخرجه الترمذي (٢٥٧٨) من طريق القاسم بن الحكم العربي عن عبيد الله بن الوليد الصافي عن عطية عن أبي سعيد به .

وقال الترمذي : هذا حديثٌ غريبٌ لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

قلت : في سنده الوصافي ، وهو في عداد الضعفاء .

(١٢) حديثٌ حسنٌ . أخرجه أحمد (١/ ٦٣) والترمذي (٢٣٠٨) وابن ماجه (٤٢٦٧) والحاكم (١/ ٣٧١) (٤/ ٣٣٠ ـ ٣٣١) والبخاري في التاريخ الكبير (٨/ ٢٢٩) والبغوي (١٥٢٣) في شرح السنة ، والبيهقي (٤/ ٥٦) في سننه الكبرى .

حتى بلَّ الثرى ثم قال :

« ياإخواني : لمثل هذا فأعدوا » (١٣) .

قال الضحاك : قال رجل : يارسول الله . من أزهد الناس ؟ قال : « من لم ينس القبر والبلى ، وترك فضل زينة الدنيا ، وآثر ما يبقى على ما يفنى ، ولم يعد غدًا من أيامه ، وعد نفسه من أصحاب القبور » (١٤) .

وقال حاتم الأصم : من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ، ولم يدعُ لهم فقد خان نفسه وخانهم .

وأنشد البعض لتذكير هول مطلعه وتصوير فظاظة منظره هذه الأبيات :

أهاله بيت البلى   والمنزل القفر الخلا .
ومورد السفر الأُلى   واللاحق المتبعَ .
بيت يرى من أودعه   قد ضمه واستودعه .
بعد الفضاء والسعة   قيد ثلاث أذرع .

واختلف في أول من سن القبر ، فقيل : الغراب ، وقيل : قابيل ، وقيل : بنو إسرائيل والأول هو الأولى ، قال الله تعالى :

﴿ **فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ** ﴾ (١٥) .

---

(١٣) حديثٌ حسنٌ . أخرجه ابن ماجه (٤١٩٥) وأحمد (٤ / ٢٩٤) والبخاري في تاريخه (٨/ ١ / ٢٢٩) ،و الخطيب (١/ ٣٤١) في تاريخ بغداد .

(١٤) حديثٌ ضعيفٌ . إسناده مرسلٌ . أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ٢٢٣) في مصنفه ، والبيهقي (١٠٥٦٥) في شعب الإيمان ، كلاهما من حديث الضحاك بن مزاحم ، وهو من الطبقة الخامسة ، صدوقٌ ، يرسل ، وفي سنده أيضًا سليمان بن فروخ ، ويقال : سلمان ، لا يُعرف ، انظر : الميزان (٢/ ١٨٧) .

(١٥) سورة المائدة .

هذا ، وإن العبد يدفن في الأرض التي خلق منها .

روي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه قال :

خرج علينا رسول الله ﷺ يطوف ببعض نواحي المدينة . فإذا بقبر يحفر ، فأقبل حتى وقف عليه . فقال : لمن هذا ؟ قيل : لرجلٍ من الحبشة فقال : « لا إله إلا الله . سيق من أرضه وسمائه ، حتى دفن في الأرض التي خلق منها »(١٦) وأنشد البعض :

مشيناها خطىً كتبت علينا   ومن كتبت عليه خطىً مشاها .
وأرزاق لنا متفرقات   فمن لم تأته منا أتاها .
ومن كتبت منيته بأرضٍ   فليس يموت في أرضٍ سواها .

وإن العبد يذر عليه من تراب حفرته ، لقول النبي ﷺ :

« ما من مولود إلا وقد ذُرَّ عليه التراب من تراب حفرته »(١٧) ولذا قال البعض : ما نجد لأبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ فضيلةً مثل هذه . لأن طينتهما طينة رسول الله ﷺ .

وقال محمد بن سيرين :

لو حلفت . حلفت صادقًا بارًا غير شاك ولا مستثن أن الله تعالى ما خلق

---

(١٦) حديثٌ حسنٌ . أخرجه الحاكم (١/ ٣٦٧) ، والبزار كما في الكشف (٨٤٢) والبيهقي (٩٨٩١) في الشعب وانظر : السلسلة الصحيحة (١٨٥٨) للألباني ، والمجمع (٣ / ٤٢) للهيثمي .

(١٧) إسناده موضوعٌ . أخرجه أبو نعيم (٢/ ٢٨٠) من طريق محمد بن إسحاق الأهوازي عن محمد بن نعيم عن أبي عاصم عن ابن عون عن ابن سيرين عن أبي هريرة به .
قلت : في إسناده الأهوازي ، قال ابن عبدان الشيرازي : أقرّ بالوضع ، انظر : الميزان (٣/ ٤٧٨) ، اللسان (٥/ ٦٩) .
قال أبو نعيم : حديثٌ غريبٌ من حديث ابن عون عن محمد لم نكتبه إلا من حديث أبي عاصم النبيل عنه .

نبيه محمدًا ﷺ ولا أبا بكرٍ ولا عمر إلا من طينةٍ واحدة ، ثم ردهم إلى تلك الطينة [١٨] .

وعن ابن مسعود : إن الملك الموكل بالرحم . يأخذ النّطفة من الرحم فيضعها في كفه ثم يقول : يارب . مُخَلَّقةٌ أو غير مُخَلَّقَةٍ ؟! فإن قال مخلقة . قال : يارب ما الرزق ، وما الأثر ، وما الأجل ؟ فيقول :

انظر في أم الكتاب ، فينظر في اللوح المحفوظ فيجد فيه رزقه وأجله وأثره وعمله ، ويأخذ التراب الذي يدفن في بقعته ، ويعجن به نطفته [١٩] . فذلك قوله تعالى :

﴿ مِنهَا خَلَقناكُم وَفِيهَا نُعيدكُم ﴾ [٢٠] والأثر : التراب . الذي يؤخذ فيعجن به ماؤه . هكذا ذكره صاحب التذكرة .

وإن العقل لا يتغير بالموت ، وقد شهدت بذلك الأخبار والآثار ، وإنما المتغير البدن والأعضاء ، فيكون الميت مدركًا عالمًا بالآلام واللذات [٢١] ، ولذلك قال بعض العلماء : الإنسان في الحقيقة . هو ذلك المدرك العالم بهما ، فإذا وضع في قبره أتاه رومان .

---

(١٨) إسناده ضعيفٌ جدًا . أخرجه الترمذي الحكيم في نوادره (ص/ ٧٣) قال : حدثنا الفضل بن محمد حدثنا بكر بن محمد حدثنا أبو عبد الرحمن المقبري عن إبراهيم بن يزيد الخوزي قال : سمعت ابن سيرين فذكره . انظر اللآلي المصنوعة (١/ ٣١٠) .
في سنده الخوزي ، أحد المتروكين كما في التقريب (١/ ٤٦) .

(١٩) إسناده ضعيف . أخرجه الحكيم الترمذي (ص/ ٧١) قال : حدثنا أبي حدثنا عمرو القناد ، عن أسباط عن السدي عن مرة عن ابن مسعود به . انظر : اللآلي المصنوعة (١/ ٣١٠) في سنده أسباط بن نصر ، وهو صدوقٌ كثير الخطأ ، انظر : التهذيب (١/ ٢١١) ، التقريب (١/ ٥٣) .

(٢٠) سورة طه : ٥٥ .

(٢١) هذا الكلام بنصه نقلاً عن الإحياء (٤/ ٤٨٧) .

روي عن ابن مسعود أنه قال : يـارسول الله . مـا أول مـا يلقى الميت إذا دخل في قبره ؟ قال : « ياابن مسعود . ما سـألني عنـه أحـد إلا أنت . فـأول من يناديه ملك اسمه رومان [٢٢] يجوس خلال المقابر فيقول : ياعبد الله اكتب عملـك . فيقـول : ليس معي دواةٌ ولا قرطـاس فيقـول : هيهـات . كفنـك قرطاسك ، ومدادك ريقك ، وقلمك أصبعـك ، فيقطع لـه من كفنـه ثم يجعل العبد يكتب ـ وإن كان غير كاتبٍ في الدنيا ـ فيذكر حينئذٍ حسناته وسيئاتـه كيوم واحد ، ثم يطوي الملـك القطعـة ويعلقهـا في عنقـه . ثم قـال رسول الله ﷺ : ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾ [٢٣] أي : عملـه ـ فـإذا فرغ من ذلك دخل عليه فَتَّانا القبر ، وهما ملكان أسودان يخرقان الأرض بأنيـابها . لهما شعور مسـدولـة يجرَّانهـا على الأرض ، كـلامهما كالرعـد القـاصف ، وأعينهما كالبرق الخـاطف ، ونفسهما كالريح العـاصف ، بيـد كل واحـدٍ منهما مقمـع من حديد . لو اجتمع عليه الثقلان ما رفعاه ، لو ضرب به أعظم جبل لجعلـه دكـا فـإذا أبصرتهما النفس ارتعـدت ، وولَّت هـاربـةً ، فتـدخـل في منخر الميت من الصـدر ، ويـكون كهيئتـه عنـد الغرغرة ، ولا يقـدر على حراكٍ غير أنـه يسمع وينظر ، قال : فيأتيانه بعنفٍ ، وينهرانه بجفاءٍ ، وقد صار التراب له كالمـاء ـ حيثما تحرك انفسح فيه ووجد فُرجةً ـ فيقولان له : من ربك ؟ وما دينـك ؟ ومن نبيك ؟ فيقول : ربي الله ، وديني الإسلام ، ومحمد نبينا ، فيقول أحـدهمـا للآخر : كُفِيَ شرنا ، ثم يضربان عليه القبر كالقبة العظيمة ، ويفتحان له بـابًـا إلى الجنة من تلقاء يمينه ، ثم يفرشان له من حريرها وريحانها ، ويُدخَلُ عليه من نسيمها وروحها وريحـانهـا ، ويـأتيـه عملـه في صورة أحب الأشخـاص إليـه يؤنسه ، ويحدثه ، ويملأ قبره نورًا ، ولا يزال في فرح وسرور مادامت الدنيا .

(٢٢) سئل شيخ الإسلام ابن حجر : هل يأتي للميت ملك اسمه رومان ؟
فأجاب بأنه ورد بسندٍ فيه لين . انظر : شرح الصدور (ص/ ١٢٠) .

(٢٣) سورة الإسراء : ١٣ .

حتى تقوم الساعة ، ويسأل متى تقوم الساعة ؟ فليس شيء أحب إليه من قيامها » (٢٤) .

ورُوي أن رسول الله ﷺ قال :

« إن المؤمن إذا وضع في قبره أتاه ملك ، فيقول له : ما كنت تعبد ؟ - فإن هداه الله قال : كنت أعبد الله - فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : هو عبد الله ورسوله . فما يسأل عن شيءٍ غيرها ، فينطلق به إلى بيتٍ كان له في النار ، فيقال له : هذا بيتك كان في النار ، ولكن الله عصمك ورحمك فأبدل لك بيتًا في الجنة ، فيقول : دعوني حتى أذهب وأبشر أهلي . فيقال له : اسكن (٢٥) .

ولا تعارض في ذلك . بل كل ذلك صحيح المعنى بالنسبة إلى الأشخاص . فرب شخصٍ يأتيانه جميعًا ويسألانه جميعًا في حالةٍ واحدةٍ عند انصراف الناس عنه ليكون السؤال عليه أهول ، والفتنة أشد في حقه وأعظم ، وذلك بحسب ما اقترف من الآثام واجترح من سَيِّءِ الأعمال ، ورب آخر . يأتيانه قبل انصراف الناس عنه ، وآخر يأتيه أحدهما على الانفراد ليكون ذلك أخف في السؤال وأقل في المراجعة والجواب والعتاب . لما عمله من صالح الأعمال ، ويمكن أن يقال ههنا . إن الملكين يأتيانه جميعًا لكن يجوز أن السائل أحدهما وإن تشاركا في الإتيان . فيكون الراوي اقتصر على الملك السائل ، وترك غيره (٢٦) .

---

(٢٤) حديثٌ ضعيفٌ . لم أقف على مخرجه . وأورده القرطبي في التذكرة (١/ ١٤٦) وقال : ذكر أبو حامد في كتاب كشف علم الآخرة ، ثم ذكره .

(٢٥) حديثٌ صحيح . أخرجه أبو داود (٤٧٥١) ، وأحمد (٣/ ٢٣٣) من حديث أنس بن مالك ومن حديث أبي سعيد الخدري ، أخرجه أحمد (٣/ ٣) وابن أبي عاصم (٢/ ٤١٧) في السنة .

(٢٦) هذا الكلام نقلاً عن التذكرة (١/ ١٤٩) للقرطبي .

وروي أن أرحم ما يكون الرب بعبده إذا دخل قبره ، وتفرق النـاس عنـه وأهله .

وروي أن الله تعـالى يـدني المؤمن فيضع عليـه كنفـه ، ويستره ، فيقول : أتعرف ذنب كـذا ؟! أتعرف ذنب كـذا ؟! فيقـول : نعم . أي رب . حتى إذا قرره بذنوبه ، ورأى في نفسه أنه قد هلك . قال : سترتهـا عليـك في الـدنيـا ، وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته [٢٧] .

هذا ، « وإن الكافر . يـأتيـه ملكان فيجلسـانـه . فيقولان : من ربـك ؟ فيقول : هـاه . هـاه . لا أدري . فيقولان لـه : مـا هـذا الرسـول الـذي بعث فيكم ؟ فيقول : هـاه . هـاه . لا أدري . فينـادي منـادٍ . أن كـذب عبـدي . فافرشوا له من النار ، وألبسوا له من النار ، وافتحوا له بابًا إلى النار . فيأتيـه من حرهـا وسمومهـا ، ويُضَيَّقُ عليـه قبره حتى تختلف فيـه أضـلاعـه » [٢٨] . ـ هكذا أورد فيـه الخبر ـ وفيـه روايـات أُخَر : وإنها أسودان . أزرقـان . يقـال لأحدهما : منكر وللآخر : نكير[٢٩] ـ على ما ورد به الخبر ـ .

وأما بيان صفة سائر من عداهما من الملائكة فمتعسر ، بل متعذر . فـإنـه لم ينقل دليل على صفة بعضها أصلاً . قال الله تعالى :

﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إلا هُوَ ﴾ [٣٠] .

وقال رسول الله ﷺ :

«وُكِّل بالمؤمن مائة وستون ملكًا يذبُّون عنه . كما يُـذَبُّ عن قصعـة العسل

(٢٧) حديثٌ صحيح . أخرجه البخاري (٣/ ١٦٨) ومسلم (٢٧٦٨) ، وأحمد (٢/ ٧٤) .

(٢٨) حـديثٌ صحيـح . أخرجـه أحمـد (٤/ ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٩٧) ، وأبـو داود (٤٧٥٣) ، والنسـائي (٤/ ٧٨) ، وابن ماجه (٥١٤٩) ، والطيالسي (٧٥٣) ، والحاكم (١/ ٣٧ ـ ٤٠) .

(٢٩) حديثٌ حسنٌ . أخرجه الترمذي (١٠٧١) ، وقال : حسن غريب ، وابن حبان (٥/ ٤٨) .

(٣٠) سورة المدثر : ٣١ .

الذباب ولو وكل المؤمن إلى نفسه طرفة عينٍ لاختطفته الشياطين » (٣١) .

وقال المتكلمون : الملائكة أجسام لطيفة ، قادرة بإذن الله تعالى على التشكل بأشكال مختلفة ، ولهذا كان جبريل عليه السلام يظهر للرسول ـ ﷺ ـ تارة في صورة دحية الكلبي ، وتارة في صورةٍ أخرى .

ومثل هذا لا يستفاد إلا من جهة الشرع . فإن العقل ليس له مجال في أمثال ذلك وإن لكل نفسٍ ملكًا غير ما ذكر . قال الله تعالى :

﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ معَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ (٣٢) .

وروي عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إن ابن آدم لفي غفلة مما خلقه الله ـ عز وجل ـ إن الله لا إله غيره ـ إذا أراد خلقه قال للملك : اكتب رزقه وأثره وأجله ، واكتب : شقيًا أو سعيدًا ، ثم يرتفع ذلك الملك ، ويبعث الله ملكًا آخر فيحفظه . حتى يدرك ، ثم يبعث الله ملكين يكتبان حسناته وسيئاته ، فإذا جاءه الموت . ارتفع هذان الملكان ، ثم جاءه ملك الموت ـ عليه السلام ـ فقبض روحه ، فإذا دخل حفرته . رد الروح في جسده ، ثم يرتفع ملك الموت ، ثم جاءه ملكا القبر فامتحناه . ثم يرتفعان ، فإذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات فأبسطا كتابًا معقودًا في عنقه ، ثم حضرا معه ـ واحد . سائقٌ ، والآخر . شهيد ـ » (٣٣) قال الله تعالى :

---

(٣١) حديثٌ ضعيفٌ . أخرجه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان ، والطبراني في الكبير (٧٧٠٤) ، وانظر : مجمع الزوائد (٧/ ٢٠٩) ، المغني (٣/ ٣٨) للعراقي .

(٣٢) سورة قٓ : ٢١ .

(٣٣) حديثٌ ضعيفٌ . أخرجه أبو نعيم (٣/ ١٩٠) من حديث جابر ، فيه جابر بن يزيد الجعفي ، وهو أحد الضعفاء ، وعزاه السيوطي في الحبائك (٣٠٩) إلى ابن أبي الدنيا .

﴿ لقد كنت في غفلةٍ من هذا فكشفنا عنك غطاءك . فبصرك اليوم حديد ﴾ .

ثم إن الميت يسمع ويفهم . قال رسول الله ﷺ :

« إنه يسمع قرع نعالكم » (٣٤) .

وقال عليه السلام :

« ما من أحدٍ يمر بقبر أخيه المؤمن ـ كان يعرفه في الدنيا ـ فيسلم عليه إلا عرفه ، ورد عليه السلام » (٣٥) .

إلى غير ذلك من الأدلة . الدالة على قوله تعالى :

﴿ إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾ (٣٦) ، وقوله تعالى :

﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ (٣٧) .

فيجوز فيه التأويل بحمل سلب الإسماع . على عدم الإسماع في وقتٍ دون وقت ، وفي حالٍ دون حال . إلى غير ذلك من التأويلات . فإذًا . لا تَدَافُعَ هنا أصلاً .

وروى أبو هريرة . أن النبي ﷺ قال :

---

(٣٤) حديثٌ صحيح . أخرجه البخاري(٢/ ١٢٣) ، ومسلم (٢٨٧٠) ، وأبو داود (٣٢٣١) ، والنسائي (٤ / ٩٦ ـ ٩٧) وأحمد (٣ / ١٢٦ / ٢٣٣) ، (٢ / ٢ / ٣٤٧) وابن حبان (٥ / ٤٩).

(٣٥) حديثٌ ضعيفٌ . أخرجه ابن أبي الدنيا في القبور ، وابن الجوزي (٢/ ٤٢٩) العلل المتناهية ، وابن عبد البر في التمهيد والخطيب (٦ / ١٣٧) في تاريخه من حديث ابن عباس ، وأبي هريرة ، وقال ابن رجب : منكر ، انظر : أهوال القبور (ص/ ٨٢) ، وانظر : لسان الميزان (٣/ ٢٩٧) .

(٣٦) سورة الروم : ٥٢ .

(٣٧) سورة فاطر : ٢٢ .

« إن أرواحكم ـ إذا مات أحدكم ـ تعرض على عشائركم وموتاكم ، فيقول بعضهم لبعض دعوه ليستريح ، فإنه كان في كربٍ ، ثم يسألوه : ما عمل فلان ؟ ما عملت فلانة ؟ ـ فإن ذكر خيرًا ـ حمدوا الله ، واستبشروا ، وإن كان شرًا . قالوا : اللهم اغفر له حتى إنهم يسألونه : هل تزوج فلان ؟ ، هل تزوجت فلانة ؟.

قال : فيسألونه عن رجلٍ مات قبله ، فيقول : ذاك مات قبلي . أما مَرَّ بكم ؟! فيقولون : إنا لله وإنا إليه راجعون . ذُهِبَ به إلى أمه الهاوية . بئست الأم ، وبئست المربية ـ حتى إنهم ليسألون عن هِرِّ البيت ـ »(٣٨) ـ هكذا ذكره الثعلبي ـ رحمه الله ـ .

وقد قيل : المراد من التلاقي في قوله ـ عليه السلام ـ :

« الأرواح جنود مجندة . فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف »(٣٩) .

هو هذا التلاقي ، وقد قيل أيضًا : تلاقي أرواح النيام والموتى ، وقد قيل غير ذلك وقال أنس ـ رضي الله عنه ـ : قال رسول الله ـ ﷺ ـ :

« إن أعمالكم تعرض على عشائركم وأقاربكم من الموتى فإن كان خيرًا . استبشروا ، وإن كان غير ذلك قالوا : اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا »(٤٠) .

---

(٣٨) . أخرجه بمعناه ابن أبي الدنيا (٢) في المنامات بتحقيقي ، وانظر الكلام على الحديث فيه .

(٣٩) حديثٌ صحيح . أخرجه البخاري (٤/ ١٦٢) ، ومسلم (٢٦٣٨) ، وأحمد (٢/ ٢٩٥ ، ٥٢٧) ، وأبو داود (٤٨٣٤) .

(٤٠) حديثٌ ضعيفٌ . أخرجه أحمد (٣/ ١٦٥) ، والحكيم في نوادر الأصول ، وابن منده ، عن عبد الرزاق عن سفيان عمن سمع أنس بن مالك ، فيه جهالة أحد الرواة ، وأخرجه ابن مردويه بنحوه كما في الدر المنثور (٦/ ٣٨٥) .

قال رسول الله ﷺ :

« تعرض الأعمال يوم الإثنين ، ويوم الخميس على الله تعالى ، وتعرض على الأنبياء وعلى الآباء والأمهات يوم الجمعة فيفرحون بحسناتهم ، وتزداد وجوههم بياضًا وشرقة ، فاتقوا الله ولا تؤذوا موتاكم بأعمالكم » (٤١) .

وقال وهب بن منبه :

إن لله في السماء السابعة دارًا يقال لها البيضاء ، فتجتمع فيها أرواح المؤمنين ، فإذا مات الميت من أهل الدنيا تلقته الأرواح فيسألونه عن أخبار الدنيا ، كما يسأل الغائب أهله إذا قدم إليهم (٤٢) .

وحكى أبو حامد الغزالي في الإحياء أن رجلاً من آل عاصم رأى في منامه عاصمًا بعد موته بسنتين فقال : ألست قد مِتَّ ؟ قال : نعم . قال : فأين أنت ؟ فقال : أنا والله في روضةٍ من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبحتها فنتلاقى أخباركم . قال : أجسامكم وأرواحكم ؟! قال : هيهات . بليت الأجسام ، وإنما تتلاقى الأرواح . قال : هل تعلمون بزيارتنا إياكم ؟ قال : نعم نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت إلى طلوع الشمس . قال : وكيف ذلك دون الأيام كلها ؟! قال : لفضل يوم الجمعة وعظمه (٤٣) .

---

(٤١) حديثٌ موضوعٌ . أخرجه الحكيم الترمذي (ص/ ٢٢١) من طريق عبد الغفور بن عبد العزيز عن أبيه عن جده .

اتهم به عبد الغفور ، انظر : السلسلة الضعيفة (١٤٨٠) .

(٤٢) أخرجه أبو نعيم (٤/ ٦٠) في الحلية من طريق الحسن بن الحكم عن يزيد بن أبي حكيم عن الحكم بن أبان به .

- أورده السيوطي في شرح الصدور (ص/ ٢٣٥) نقلاً عن الحلية .

(٤٣) أثرٌ ضعيفٌ . أخرجه ابن أبي الدنيا (٥٨) في المنامات ، وعنه أورده ابن القيم (ص ٦/) في الروح ، وابن رجب (٢٨٥) في أهوال القبور .

وكان محمد بن واسع يزور يوم الجمعة . فقيل له : لو أخرت إلى يوم الإثنين ! فقال : بلغني أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويومًا قبله ويومًا بعده [٤٤] .

وقال الضحاك : من زار قبرًا يوم السبت قبل طلوع الشمس . علم الميت بزيارته ، قيل له : وكيف ذلك ؟ قال : لمكان يوم الجمعة [٤٥] .

هذا ، وإن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ :

« أحسنوا أكفان موتاكم فإنهم يتباهون ويتزاورون في قبورهم » [٤٦] .

ثم إن جعل الإنسان ثواب عمله لغير صلاة كان أو زكاة ، وغيرهما . جائز عند أهل السنة والجماعة . خلافًا لغيرهم . فثواب الخيرات التي يعملها الأحياء للأموات تقع لهم . لما ثبت أن النبي ﷺ . ضَحَّى بكبشين [٤٧] . أحدهما عن نفسه والآخر عن أمته ـ من المؤمنين ـ [٤٨] .

(٤٤) الإحياء (٤/ ٤٧٥) ، وشرح الصدور (ص/ ٢٠٣) للسيوطي ، وعزاه لابن أبي الدنيا ، والبيهقي في شعب الإيمان .

(٤٥) المصدر السابق .

(٤٦) حديثٌ صحيح . أخرجه الترمذي (١٠٠٠) ، والنسائي (٤/ ٣٣) ، وأبو نعيم (٣/ ١٤) من حديث جابر ، وأخرجه مسلم (٤٩٣) ، وأبو داود (٣١٤٨) ، وأحمد (٣/ ٢٩٥ ، ٣٢٩ ، ٣٤٩) ، والبغوي (٥/ ٣١٥) في شرح السنة ، والحاكم (١/ ٣٦٩) في مستدركه ، والبيهقي (٣/ ٤٠٣) في سننه الكبرى كلهم من حديث أبي قتادة ، والعقيلي (٢/ ٥٥) في الضعفاء الكبير ، والخطيب في تاريخه (٩/ ٨٠) ، (٤/ ١٦٠) من حديث أنس .
(فائدة) : معنى إحسان الكفن هو نظافته ، وبياضه . لا كونه غاليًا وثمينًا .

(٤٧) حديثٌ صحيح . أخرجه البخاري (٢/ ١١٧) ، ومسلم (١٩٦٦) ، وأحمد (٣/ ١٠٨ ، ١١٥ ، ١٧٠ ، ١٧٨ ، ١٨٣ ، ١٨٩ ، ٢١١ ، ٢٢٢ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨) ، وأبو داود (٢٧٩٤) والترمذي (١٥٢٧) والنسائي (٧/ ٢١٩ ـ ٢٢٠) ، وابن ماجه (٣١٢٠) ، (٣١٥٥) ، والدارمي (٢/ ٧٥) ، والطيالسي (١٩٦٨) ، وابن الجارود (٩٠٢) ، (٩٠٩) في المنتقى ، والبيهقي (٥/ ٢٣٨) في سننه الكبرى .

(٤٨) حديثٌ صحيح . أخرجه أحمد (٣/ ٣٥٦ ، ٣٦٢) ، وأبو داود (٢٨١٠) ، (٢٧٩٥) والترمذي

وقال رسول الله ﷺ :

« ما من ميتٍ يصلي عليه أُمةٌ من المسلمين يبلغون مائة ـ كلهم يشفعون له ـ إلا شفعوا فيه » [٤٩] .

وروي أن سعد بن عبادة قال : يارسول الله . أم سعد ماتت . فأي الصدقة أفضل ؟ قال : الماء ، فحفر بئرًا ، وقال : هذه لأم سعد [٥٠] .

وقال أنس ـ رضي الله عنه ـ قال رسول الله ﷺ :

« إنك لتصدَّق عن ميتك بصدقة فيجيء بها ملك من الملائكة في أطباقٍ من النور ، فيقوم على رأس القبر ، فينادي : ياصاحب القبر الغريب . أهلك قد أهدوا لك هذه الهدية فاقبلها ، قال : فيدخلها إليه في قبره ، ويفسح له في مداخله ، وينور له فيه . قال : فيقول : جزى الله أهلي خير الجزاء . قال : فيقول لزيق ذلك القبر : أنا لم أخلق لي ولدًا ، ولا أحدًا يذكرني بشيءٍ ـ فهو مهموم ـ والآخر يفرح بالصدقة » [٥١] .

وقال بشار بن غالب :

رأيت رابعة العدوية في المنام ، وكنت كثير الدعاء لها . فقالت لي :

= (١٥٥٨) والدارمي (٢/ ٧٥ ـ ٧٦) ، والحاكم (٤/ ٢٢٩) ، والبيهقي (٩/ ٢٦٤ ، ٢٨٧) ، وله شواهد كثيرة ، انظر : إرواء الغليل (١١٣٨) .

(٤٩) حديثٌ صحيح . أخرجه مسلم (٩٤٧) ، وأحمد (٣/ ٢٦٦) ، (٦/ ٤٠) ، والنسائي (٤/ ٧٥) ، والبيهقي (٤/ ٣٠) في سننه الكبرى .

(٥٠) إسناده منقطعٌ والحديث صحيح . أخرجه أبو داود (١٦٦٣) ، (١٦٦٤) ، (١٦٦٥) ، والنسائي (٦/ ٢٥٤ ، ٢٥٥) ، سعيد بن المسيب لم يدرك سعد بن عبادة ، وأخرجه أحمد (٥/ ٢٨٤ ، ٢٨٥) ، (٦/ ٧) ، والنسائي (٦/ ٢٥٥) وفيه الحسن يرويه بالعنعنة عن سعد ابن عبادة ، وهو مدلسٌ ، وعن طريق أنس أن سعدًا فذكره ، أخرجه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح قال الهيثمي كما في مجمع الزوائد (٣/ ١٣٨) وله طرق أخرى وشواهد .

(٥١) حديثٌ موضوعٌ . رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه أبو محمد الشامي ، قال عنه الأزدي كذاب .

بشار . هديتك تأتينا في أطباقٍ من نور عليها مناديل من حرير ، وهكذا يابشار دعاء المؤمنين الأحياء ـ إذا دعوا لإخوانهم الموتى . فاستجيب لهم ـ يقال : هذه هدية فلان إليك (٥٢) .

وقال أنس ـ رضي الله عنه ـ قال رسول الله ﷺ :

« إذا قرأ المؤمن آية الكرسي ، وجعل ثوابها لأهل القبور . أدخل الله تعالى في كل قبرٍ من المشرق إلى المغرب أربعين نورًا ، ووسع الله عز وجل عليهم مضاجعهم وأعطى القارئ ثواب ستين نبيًا ، ورفع له بكل ميت درجة ، وكتب له بكل ميتٍ عشر حسنات » (٥٣) .

وقال النبي ﷺ :

« إن العالم والمتعلم ـ إذا مرا على قريةٍ ـ فإن الله تعالى يرفع العذاب عن مقبرة تلك القرية أربعين يومًا » (٥٤) .

والأحاديث في هذا الباب أكثر من أن تحصى ، وقال الحسن ـ رضي الله عنه ـ : من دخل المقابر فقال : اللهم رب الأجساد البالية والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة ، فأدخل عليهم روحًا منك وسلامًا مني ـ إلا كتب الله له بعددهم حسنات .

هذا . ثم إن المخالف يقول : المراد من ثواب الأعمال هو الجنة ، ولا قدرة للإنسان على تمليكها .

أقول : هذا القول باطل من وجوه . أما أولاً : سلمنا أن المراد من ثواب

(٥٢) أورده الأشبيلي في العاقبة (ص/ ١٢٥) ، والغزالي (٤/ ٤٧٥) في الإحياء ، والسيوطي (ص/ ٣٠٦) في شرح الصدور ، وعزاه لابن أبي الدنيا .

(٥٣) لم أقف عليه . ولوائح الوضع والضعف بادية عليه ، وقد أورده القرطبي في التذكرة (١/ ١٠٠) وعزاه للسلفي من حديث أنس رضي الله عنه .

(٥٤) لا أصل له . انظر : كشف الخفاء (١/ ٢٥٦) ، والسلسلة الضعيفة (٤١٩) .

أعمال الإنسان لغيره ههنا ما ذكر قادر على ذلك التمليك بإقدار الشـارع بحسب إذنه فيه ، وإن لم يكن قادرًا عليه بحسب تلقاء نفسه ابتداءً .

وثانيًا : أنه قول في مقام التعبد لا مجال للعقل فيه فيكون مردودًا .

وثالثًا : أنـه اعترض على الشـارع فيكون ممنوعًـا شرعًـا ، فكيف لا ، وإن القول بنفع عمل الغير مجمع عليه عند السلف (٥٥) . فإذًا . لا اعتبار بعده لمخالفـة الخلف .

وأما قوله تعالى :

﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلا مَا سَعَى ﴾ (٥٦) .

فلا تمسـك لـه بـه . لقيـام الاحتمال لجواز أن يكون محمولاً على الترغيب في العمل الصالح وعلى الترهيب عن التكاسل والتقـاعـد عن السعي ـ ردًا على من اعتمد على سعي الغير ، واعتقد أن مجرد الحب والنسب والتفاخر ينفعـه . قـال النبي ﷺ :

« من أبطأ به عمله . لم يسرع به نسبه » (٥٧) .

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أنه منسوخ بقوله تعالى :

﴿ والَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ (٥٨) .

---

(٥٥) كيف يقال بدعوى الإجماع ، وقد قال بخلاف ذلك الإمام الشافعي ، ومالك ؟!
انظر : الفتـاوى لابن عبـد السـلام ، إتحـاف السـادة (١٠/ ٣٦٩) ، تفسير المنـار (٨/ ٢٥٤ ـ ٢٧٠) ، أحكام الجنائز (ص/ ١٧٤ ـ ١٧٦) للألباني .

(٥٦) سورة النجم : ٣٩ .

(٥٧) حديثٌ صحيح . أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٢ ، ٤٠٧) ، وأبو داود (٣٦٤٣) ، والترمذي (٣١١٥) ، وابن ماجه (٢٢٥) ، والدارمي (١ / ٩٩) .

(٥٨) سورة الطور : ٢١ .

فيحصل الولد الطفل ـ يوم القيامة ـ في ميزان أبيه ، ويُشَفِّعَ الله الأبناء في الآباء يدل على ذلك قوله تعالى :

﴿ آبَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ ، لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ﴾ (٥٩) .

وقيل : المراد من الإنسان ههنا : الكافر ، وقيل المراد من السعي المذكور فيه : هو السعي في المعصية ، قال الله تعالى :

﴿ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ (٦٠) .

إلى غير ذلك من التأويلات .

هذا . ثم إن أهل الطاعة متعهم في القبر بما يعمله ويريده على سبيل التفضل والإحسان . لما روي أن رسول الله ﷺ قال :

« وينادي منادٍ من السماء . أن قد صدق عبدي . فألبسوه من الجنة وأفرشوه من الجنة وأروه منزله فيها ، ويفسح له مد بصره ، ويمثل له عمله في صورة رجلٍ حسن الوجه . طيب الريح . حسن الثياب فيقول : أبشر بما أعد الله لك . أبشر برضوان الله وجناتٍ فيها نعيم مقيم » (٦١) .

وروى البخاري ومسلم . عن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال :

« إن أحدكم إذا مات . عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ـ إن كان من أهل الجنة ـ فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار . فمن أهل النار ـ يقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله إلى يوم القيامة » (٦٢) .

---

(٥٩) سورة النساء : ١١ .

(٦٠) سورة فاطر : ١٨ .

(٦١) سبق تخريجه ، وهو حديث البراء بن عازب رضي الله عنه .

(٦٢) حديثٌ صحيح . أخرجه البخاري (٢/ ١٢٤) ، ومسلم (٢٨٦٦) ، وأحمد (٢ / ١١٣) ، =

ثم إن هذا العرض مطلق ، وهو الظاهر .

وقيل : هذا العرض خاص بالمؤمن الكامل وبمن أراد الله إنجاءه من النيران . وأما من أنفذ الله عليه وعيده من المخلطين ـ الذين خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا ـ فله مقعدان يراهما كما أنه يرى عمله شخصين في وقتين أو في وقتٍ واحد قبيحًا وحسنًا .

وقيل أيضًا ؛ هذا العرض على مجموع الروح والجسم ، وقيل : على الروح وحده وقيل : مع جزءٍ من البدن والله أعلم ، والظاهر : أنه مطلق كما ذكرنا آنفًا .

ثم إن عذاب القبر للكفار ولبعض عصاة المؤمنين ثابت عند أهل السنة . خلافًا لغيرهم ـ لقول الله تعالى في قوم نوح ـ عليه السلام ـ :

﴿ .. أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُوا نَارًا ﴾ (٦٣) .

فإن الفاء فيه للتعقيب ، فيكون المراد من الإدخال عقيب الإغراق ههنا هو : عذاب القبر . لا عذاب يوم القيامة . لأن الإدخال يوم القيامة ليس عقيب الإغراق .

قال الله تعالى في آل فرعون :

﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ (٦٤) .

ولقول النبي ـ ﷺ ـ :

= ومالك (٢٣٩) في الموطأ ، والنسائي (٤/ ١٠٧) ، وابن ماجه (٤٢٧٠) ، وابن حبان (٥/ ٥٣) ، والبغوي (٥/ ٤٢٢) في شرح السنة ، والبيهقي (١/ ٢٧٠) في سننه الكبرى .

(٦٣) سورة نوح : ٢٥ .

(٦٤) سورة غافر : ٤٦ .

« استنزهوا من البول . فإن عامة عذاب القبر منه » [٦٥] .

ولإجماع السلف عليه . فلا اعتبار للخلاف بعده . فمن قال بالسؤال والعذاب قال بإحياء الموتى في القبور . لقول الله تعالى ـ حكايةً على سبيل التصديق ـ :

﴿ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ ﴾ [٦٦] .

فلو لم يكن في القبر حياة وموت آخر ، لم يكن الإحياء والإماتة مرتين . هذا هو الشائع المستفيض بين أصحاب التفسير .

وأما حمل الإماتة الأولى على خلقهم أمواتًا في أطوار النطفة ، وحمل الثانية على الإماتة الظاهرة ، وحمل الإحياء على إحياء الدنيا والإحياء عند الحشر ، وحينئذٍ لا يثبت بالآية الإحياء في القبر ـ فمردود بأن الإماتة إنما تكون بعد سابقة الحياة ، ولا حياة في أطوار النطفة ، وبأن ذلك قول شذوذ من المفسرين ، والمعتمد هو الذي قدمناه .

وأما ما ذهب إليه الكرامية [٦٧] . من تجويز عذاب القبر على الموتى من غير إحياء ـ فمردود أيضًا ـ لأنه غير معقول وغير منقول .

وأما ما ذهب إليه بعض المتكلمين . من أن الآلام تجتمع في أجساد الموتى ، وتتضاعف من غير إحساسٍ بها . فإذا حشروا . أحسوا بها دفعة واحدة فهو إنكار لعذاب القبر قبل الحشر ـ فيكون مردودًا بالدلائل الدالة عليه .

(٦٥) حديثٌ صحيح . أخرجه ابن ماجه ، (٣٤٨) ، وأحمد (٢/ ٣٢٦ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩) والحاكم (١/ ١٨٤) ، والدارقطني (١/ ١٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ومن حديث ابن عباس ، أخرجه الحاكم (١/ ١٨٣) ، والدارقطني (١/ ١٢٨) ومن حديث أنس بن مالك ، أخرجه الدارقطني (١/ ١٢٧) .

(٦٦) سورة غافر : ١١ .

(٦٧) من الفرق المبتدعة التي نشأت عن المرجئة ، لهم أقوال يكفر بها المرء ، وقيل يُسبسبون إلى محمد =

ثم إن الظـاهر : أن العـذاب الثـابت بـالـدليل . مطلـق سـواء كان الروح وحـده أو عليـه مع جميع البـدن.أو مـع بعضـه ، وقيـل : على الروح وحـده ، وقيل : على المجموع . وقيل : على الروح مع بعض جزءٍ من البـدن ، والله أعلم بحقيقة الحال .

هذا . ثم إن المخالف قال أولاً : إن من أحرق بالنـار حتى تتفتت أجزاؤه ، ودربت في الريـاح العـاصفـة شمالاً وجنوبًـا ، وقبولاً ودبورًا . لا يتصـور فيـه التعذيب بشهادة الحس ، والإنكار بشهادة سفسطة ، ورُدَّ أولاً بأنه اعتراض على الشارع . فيكون مردودًا . فكيف لا وقد ثبت عذاب القبر بالإجماع ـ على مـا قررناه .

ثانيًا : بأنه استبعاد من تلقـاء نفسـه لا يمنع الوقوع فضلاً عن الجواز ، فلا يبعد في نفس الأمر أن تعـاد الحيـاة إلى الأجزاء المتفرقـة أو إلى بعضهـا ، وإن كان خـلاف العـادة فـإن خـوارق العـادة غير ممتنعـة في مقــدور الله تعــالى ـ بالإجمـاع ـ لاسيما أن البنيـة ليست بشرطٍ للحيـاة عنـدنـا . فيجوز أن يعـذب الغريق في الماء والمأكول في الحيوانات ، والمصلوب في الهواء وإن لم نطلع عليـه كصاحب السكتة فإنه حي مع أنَّا لا نشاهد حيـاتـه ، والنبي ﷺ . كان يرى جبريل ـ عليه السلام ـ كثيرًا بين أظهر أصحابه . مع ستره عنهم ، ومن تـأمل في عجـائب ملكـه وملكوتـه ، وغرائب قـدرتـه وجبروتـه . لم يستبعـد أمثـال ذلك . فضلاً عن الاستحالة .

قال أبو حامد الغزالي في الإحياء :

التصديق بأمثال ذلك واجب ، ومن أنكر ذلك فإنما ينكر لضيق حوصلتـه وجهله باتساع قدرة الله تعالى وعجائب تدبيره ، فينكر من أفعال الله تعالى ما

= بن كرام السجستاني ، انظر : الفصل في الملل (٥/ ٧٤ ـ ٧٦) لابن حزم .

لم يأنس به ويألفه ، وذلك جهل وقصور ، وإن هذه العين لا تصلح لمشاهدة الأمور الملكوتية وإن كل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت . أما ترى الصحابة - رضي الله عنهم - كيف كانوا يؤمنون بنزول جبريل - عليه السلام - وما كانوا يشاهدونه ، ويؤمنون بأن النبي ﷺ يشاهده ، وإن كنت لا تؤمن بهذا . فتصحيح أهل الإيمان بالملائكة والوحي أهم عليك ، وإن آمنت بذلك ، وإن جوّزت أن يشاهد النبي ﷺ مالا تشاهده الأمة . فكيف لا يجوز هذا في الميت ؟!

وكما أن الملك لا يشبه الآدميين والحيوانات ، فكذلك الحيات والعقارب التي تلدغ الموتى في القبور . ليست من جنس حيَّات عالمنا . بل هي من جنسٍ آخر وتدرك بحاسةٍ أخرى .

وقال ثانيًا : إن الميت جمادٌ . لا حياة له ولا إدراك فتعذيبه محال .

والجواب ما مر . فيجوز أن يخلق الله تعالى في جميع أجزاء الميت أو في بعضها نوعًا من الحياة . قدر ما يدرك الألم .

وثالثًا قوله تعالى في صفة أهل الجنة :

﴿ **لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إلا الْمَوْتَةَ الأُولَى** ﴾ (٦٨) .

دل على نفي الموتة الثانية : إذ لو صاروا أحياء في القبور لذاقوا موتتين لا موتة واحدة ، وهذا يستلزم نفي الإحياء ونفي العذاب في القبر .

والجواب : أنه مؤول . فإن الله تعالى أحيا كثيرًا من الأموات في زمن موسى وعيسى عليهما السلام ، وتفصيل ذلك في كتب القصص والتأويل من وجوه : الأول : أن الاستثناء منقطع . فيكون أهل الجنة يحيون فيها دائمًا . فلا

---

(٦٨) سورة الدخان : ٥٦ .

ينقطع نعيمهم بالموت كما انقطع نعيم أهل الدنيا به . فلا دلالة في الآية على انتفاء موته ثانيةً فضلاً عن الدلالة على نفي الإحياء والعذاب في القبر .

والثاني : أن الاستثناء متصل ، وهو أنه على سبيل التعليق بالمحال . كقول الشاعر :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فُلولٌ من قراع الكتائبِ

كأنه قال : لا يذوقون فيها ـ إلا إذا أمكن ذوق الموتة الأولى في المستقبل ـ

وإما على طريق غيره ، فيكون الضمير فيها إما للآخرة والموت وأحوالها أو للجنة . والمؤمن يشارفها بالموت ويشاهدها عنده **فكأنه** فيها .

والثالث : أن الموتة الأولى . للجنس لا للوحدة وإن كانت الصيغة صيغة الواحد . نحو : ﴿ **إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ** ﴾ (٦٩) ، وليس فيها نفي تعدد الموت لأن الجنس يتناول المتعدد أيضًا .

هذا . ثم إن الإنسان يبلى ويأكله التراب إلا عجب الذنب .

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال :

« كل ابن آدم يأكله التراب . إلا عجب الذنب . منه خلق وفيه يركب » (٧٠) .

أي أول ما خلق الله هو . ثم إن الله تعالى يبقيه إلى أن يركب الخلق منه تارة أخرى .

---

(٦٩) سورة العصر : ٢ .

(٧٠) حديثٌ صحيح . أخرجه مالك (١/ ٢٣٩) في الموطأ ، والبخاري (٦/ ١٥٨) ، ومسلم (٢٩٥٥) ، وأحمد (٢/ ٣٢٢ ، ٤٢٨ ، ٤٩٩) ، وأبو داود (٤٧٤٣) ، والنسائي (٤/ ١١١ ، ١١٢) ، وابن ماجه (٤٢٦٦) .

ثم إن أجساد الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ لا تأكلها الأرض .

قال رسول الله ﷺ :

« إن الله عز وجل ـ حرّم على الأرض أجساد الأنبياء ـ عليهم السلام ـ وكذا أجساد الشهداء » (٧١) . قال الله تعالى :

﴿ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (٧٢) .

وقد روى كافة أهل المدينة : أن جدار قبر النبي ﷺ لما انهدم أيام خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان ، وولاية عمر بن عبد العزيز على المدينة . بدت لهم قدم . فخافوا أن تكون قدم رسول الله ﷺ فجزع الناس ، حتى روى لهم سعيد بن المسيب : أن جثث الأنبياء لا تقيم في الأرض أكثر من أربعين يومًا ، ثم ترفع ، ثم جاء سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فعرف قدم جده عمر ـ رضي الله عنه ـ ، وكان قد قتل شهيدًا (٧٣) .

وروي أن الغلام الذي قتله الملك . أخرج في زمان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ويده على صدغه كما وضعها حين قُتل (٧٤) .

---

(٧١) حديثٌ صحيح . أخرجه أحمد (٤/ ٨) ، وأبو داود (١٠٤٧) ، (١٥٣١) ، والنسائي (٣/ ٩١ ـ ٩٢) ، وابن ماجه (١٦٣٦) ، وابن حبان (٥٥٠) ، والحاكم (٨/ ٢٧٨) ، والطبراني (٥٨٩) في الكبير ، والبيهقي (٣/ ٢٤٩) في سننه الكبرى .

(٧٢) سورة آل عمران : ١٦٩ .

(٧٣) أخرجه عمر بن شبة كما في أهوال القبور (٢٤٤) من طريق محمد بن يحي عن هشام بن عبد الله ابن عكرمة عن هشام عن عروة عن أبيه به . وفي سنده هشام بن عكرمة ، قال ابن حبان : ينفرد بما لا أصل له من حديث هشام ، لا يعجبني الاحتجاج بخبره إذا انفرد ، انظر : الميزان (٤/ ٣٠٠) ، اللسان (٦/ ١٩٥) .

(٧٤) خبرٌ صحيحٌ . أخرجه الترمذي (٣٥٦١) في آخر حديث الغلام والملك ، وقال ابن رجب : وقد ذكر محمد بن كعب القرظي وزيد بن أسلم وغيرهما قصة عبد الله بن تامر ، وهو رأس الأخدود ، وقصته شبيهة بقصة الغلام المخرجة في الترمذي ، وأنه وجد في زمان عمر بنجران ،

وروى نقلة الأخبار : أن معاوية ـ رضي الله عنه ـ لما أجرى العين التي بالمدينة في وسط المقبرة ، وأمر الناس تحويل موتاهم ، وذلك في أيام ولايته بعد أُحد بنحوٍ من خمسين سنة ، فوجدوا على حالهم [٧٥] .

هذا . ثم إن بعض الأرواح لا يزال بعد خراب بدنه طوافًا في الملكوت دون سماء الدنيا ، وبعضها يرسل الله عليه غاشيةً فلا يرى ما هو عليه حتى ينتبه مع النفخة الأولى ثم يموت ، وبعضها لا يقوم على قبره إلا شهرين أو ثلاثة ، ثم يركب نفسه على طائرٍ يهوي به الجنة .

قال كعب بن مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال :

« إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه » [٧٦] .

وإن بعضها له اختيار ، فيختار البعض من هذا البعض الطواف حيث شاء من السماء والأرض ، ويختار البعض الآخر منه السماء .

روى البخاري : « أن آدم في سماء الدنيا ، وإبراهيم في السماء

= ويده على جرحه ، وكذا ذكر محمد بن إسحاق عن عبد الله بن محمد بن عمرو بن حزم .
انظر : أهوال القبور (٢٤٨) .

(٧٥) أخرجه أبو القاسم البغوي كما في أهوال القبور (٢٤٥) من طريق عبد الأعلى بن حماد عن عبد الجبار بن الورد عن أبي الزبير قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول . فذكره .
قلت : سنده صحيح .

(٧٦) حديثٌ صحيح . أخرجه مالك (١/ ١٨٦) برقم (٢٤٠) ، وأحمد (٣/ ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٦٠) والترمذي (١٦٩١) ، والنسائي (٤/ ١٠٨) ، وابن ماجه (٤٢٧١) ، والطبراني (١٩/ ٦٤) في الكبير ، كلهم من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه .

● وبنحوه من حديث ابن عباس ، أخرجه أحمد (١/ ٢٦٦) ، وأبو داود (٢٥٠٣) ، والحاكم (٢/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨) وصححه وأقره الذهبي .

●● وبنحوه من حديث ابن مسعود ، أخرجه مسلم (١٨٨٧) .

السادسة » [٧٧] .

ثم إن الخيـــار ليس إلا لخمس : الخليـل ، والكليم ، والروح ، والصفي ، والحبيب . وهذا الشرع مختص بالأنبياء والأولياء .

وقال بعض العلمـاء : إن أرواح المؤمنين كلهم في جنـة المـأوى - وهي تحت العرش - تأوي إليها أرواح المؤمنين .

وإن أرواح الكفار في سجين - في الأرض السابعة .

وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما :

إن أرواح المسلمين في صـور طير بيض في ظـل العرش ، وإن أرواح الكافرين في الأرض السابعة [٧٨] . هكذا نقل العلماء في الكتب ، والله أعلم .

ثم إن البرزخ لغةً هو الحاجز بين الشيئين ، ومنه قوله تعالى :

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا ﴾ [٧٩] أي : حاجزًا .

وشرعًا : هو ما بين الموت إلى البعث .

سئل مجاهـد . عن : برزخ - في قولـه تعـالى : ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَى

(٧٧) حديثٌ صحيح . هو جزءٌ من حديث الإسراء والمعراج ، أخرجه البخـاري (٥/ ٦٧) ، وأحمد (٤/ ٢٠٧ - ٢٠٨) ، ومسلم (١٦٤) ، والترمـذي (٣٤٠٤) ، والنسـائي (١/ ٢١٧ - ٢١٨) مطولاً ومختصرًا .

(٧٨) إسناده ضعيفٌ . أخرجه ابن المبارك (١٦٤) في زوائده من طريق ابن لهيعة عن يزيـد بن ابي حبيب عن منصور بن أبي منصور به .
في سنـده منصور بن أبي منصور ، وهو أحـد المجهولين ، انظر : الجرح والتعـديل (٨/ ١٧٩) ، الميزان (٤/ ١٨٨) .

- أورده ابن رجب في أهوال القبور (٣٨٥) ، والسيوطي (ص/ ٢٣٤) في شرح الصدور .

(٧٩) سورة الفرقان : ٥٣ .

يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [٨٠] قال : هو ما بين الموت إلى البعث .

وقيل للشعبي : مات فلان . قال : ليس هو في الدنيا ولا في الآخرة . هو في البرزخ ولذلك قيل : إن البرزخ يشبه الدنيا من وجه ، والآخرة من وجه ، كما قيل إن أحوال القبر مما هو متوسط بين أمر الدنيا والآخرة من وجه .

ثم إن زيارة القبور . تذكر الموت والآخرة ، وتزهد في الدنيا . قال النبي ﷺ :

« زوروا القبور فإنها تذكر الموت والآخرة وتزهد في الدنيا » [٨١] .

وقال عليه السلام :

« نهيتكم عن زيارة القبور ، فزوروها . فإن في زيارتها تذكرة » [٨٢] .

ثم إن زيارة القبور للرجال جائزة عند العلماء باتفاق ، وإنما وقع الاختلاف فيها في حق النساء ، فقيل : الشواب ، حرام عليهن الخروج ، والقواعد ، مباح لهن ذلك . وقيل : جائز ذلك لجميعهن إذا انفردت بالخروج عن الرجال ، وأما إذا حصل الاجتماع بحيث يخشى فيه الفتنة . فلا يحل لهن الخروج . إذ الرجل ربما يخرج ليعتبر فيقع بصره على امرأة فيفتتن ، وبالعكس ، فيرجع كل من الرجال والنساء مأزورين غير مأجورين .

فينبغي لمن عزم الزيارة أن يتأدب بآدابها ، ويحضر قلبه في إتيانها ، ولا

---

(٨٠) سورة المؤمنون : ١٠٠ .

(٨١) حديثٌ صحيح . أخرجه مسلم (٩٧٦) ، وأحمد (٢/ ٤٤١) ، والترمذي (١٠٠) ، والنسائي (٨/ ٣١١) ، وابن ماجه (١٥٦٩) ، (١٥٧٢) .

(٨٢) حديثٌ صحيح . أخرجه مسلم (٩٧٧) ، وأحمد (٥/ ٣٥٠ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦١) ، وأبو داود (٣٢٣٥) والترمذي (١٠٦٠) (١٥٤٦) ، والنسائي (١/ ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٣٢٩ ، ٩٣٠) .

يكون حظه منها : الطواف على الأجداث فقط . فإن هذه حالة تشاركه فيها بهيمته ، ونعوذ بالله من ذلك . بل يقصد بزيارته وجه الله تعالى وإصلاح فساد قلبه ، ونفع الميت بما يتلو عنده من القرآن ، ويجتنب المشي على المقابر والجلوس عليها ، ويخلع نعليه ويسلم إذا دخل المقابر ، ويخاطبهم خطاب الحاضرين . فيقول :

السلام عليكم دار قومٍ مؤمنين .

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : قلت يارسول الله . كيف أقول إذا دخلت المقابر ؟ قال :

« قولي : السلام على أهل الديار من المؤمنين المسلمين ، ويرحم الله المستقدمين والمستأخرين وإنا إن شاء الله لاحقون » (٨٣) .

وإذا وصل الزائر إلى قبر ميته الذي يعرفه . سلم عليه أيضًا . فيقول : عليك السلام .

وروى الترمذي في جامعه . أن رجلاً دخل على النبي ﷺ فقال : عليك السلام . فقال ﷺ : « لا تقل : عليك السلام . فإن عليك السلام تحية الميت » (٨٤) .

والمستحب في زيارة القبور أن يقف الزائر مستقبل القبلة ـ بأن يسلم ـ عند مشايخ الحنفية في أصح الرواية ـ فإن خير الأمور ما استقبلت به القبلة ، وعند أصحاب الشافعي : المستحب أن يقف مستدبر القبلة مستقبل الوجه عند

---

(٨٣) حديثٌ صحيح . أخرجه مسلم (٩٧٤) ، وأحمد (٦/ ٢٢١) ، والنسائي (٤/ ٩٣) ، وعبد الرزاق (٦٧٢٢) في مصنفه ، والبيهقي (٤/ ٧٩) في سننه الكبرى .

(٨٤) حديثٌ صحيح . أخرجه أبو داود (٤٠٦٦) ، (٥١٨٧) ، والترمذي (٢٨٦٦) ، وأحمد (٣ / ٤٨٢ ـ ٤٨٣) ، وابن أبي شيبة (٨ / ٢٠٤ ، ٤٢٩) ، والحاكم (٤ / ١٨٦) وصححه وأقره الذهبي.

السلام . كمخاطبه حيًا ، ولو خاطبه حيًا لكان الأدب استقباله بوجهه . فكذلك ههنا ، ولا يمسح القبر ولا يقبله ولا يمسه . فإن ذلك من عادة النصارى [٨٥] . ثم يعتبر بمن صار تحت التراب وانقطع عن الأهل والأحباب بعد أن قاد الجيوش والعساكر ونافس الأصحاب والعشائر وجمع المال والذخائر ، فجاءه الموت في وقتٍ لم يحسبه وهول لم يرتقبه . فليتأمل الزائر حال من مضى من إخوانه ودرج من أقاربه وأقرانه الذين بلغوا الآمال ، وجمَّعوا الأموال . كيف انقطعت آمالهم ، ولم تغن عنهم أموالهم ، ومحا التراب محاسن وجوههم ، وافترقت في القبور أجزاؤهم ، وقد سالت أعينهم وقد أكل الدودُ ألسنتهم وقد أبلى التراب أسنانهم ، فإذا اعتبر بمثل هذا الاعتبار يزول عنه الأمور الدنيوية ، ويقبل على الأعمال الأخروية ، فيزهد في دنياه ويُقبل على طاعة مولاه ويلين قلبه وتخشع جوارحه ، ثم يدعو ويستغفر له [٨٦] .

قال رسول الله ﷺ :

« ما الميت في قبره إلا كالغريق المتغوث [٨٧] . ينتظر دعوة تلحقه من أبيه أو أخيه أو صديقه فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها ، وإن هدايا الأحياء للأموات الدعاء والاستغفار [٨٨] .

---

(٨٥) إلى (٨٦) نقلاً عن التذكرة (١/ ٢٢ ـ ٢٣) للقرطبي .

(٨٧) الذي يطلب الغوث .

(٨٨) منكر . أخرجه البيهقي (٧٩٠٥) ، (٩٢٩٥) في شعب الإيمان من طريق محمد بن جابر بن أبي عياش عن ابن المبارك عن يعقوب بن القعقاع عن مجاهد عن ابن عباس به ، وعزاه صاحب شرح الصدور (ص / ٣٠٥) إلى الديلمي .
في سنده محمد بن جابر ، قال الذهبي : لا أعرفه ، وخبره منكر جدًا ، انظر : الميزان (٣/ ٤٩٦) ، وانظر اللسان (٥/ ٣٣٩) .
قال العراقي في المغني (٤/ ٢٧٦) : الحديث ، أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس ، وفيه الحسن بن علي بن عبد الواحد ، قال الذهبي : حدث عن هشام بن عمار بحديث باطل .

وقال ﷺ :

« من زار قبر أبويه أو أحدهما . غفر له وكتب بارًا » [٨٩] .

وعن ابن سيرين - رحمه الله تعالى - قال : قال رسول الله ﷺ :

« إن الرجل ليموت والداه ، وهو عاقّ لهما فيدعو الله من بعدهما فيكتبه الله من البارين » [٩٠] .

وقال أنس - رضي الله عنه - : قال رسول الله ﷺ :

« من دخل المقابر ، فقرأ سورة يس . خفف الله عنهم ، وكان له بعدد من فيها حسنات » [٩١] .

---

(٨٩) حديثٌ ضعيف جدًا . إن لم يكن موضوعًا . أخرجه ابن أبي الدنيا في القبور ، والطبراني (ص/ ١٩٩) في الصغير ، والأوسط ، قال العراقي (٤/ ٤٧٤) في المغني : من رواية محمد بن النعمان يرفعه وهو معضلٌ ، ومحمد بن النعمان مجهولٌ ، وشيخه عند الطبراني يحي بن العلاء البجلي متروك ، وقد أخرجه البيهقي (٧٩٠١) في شعب الإيمان عن ابن أبي الدنيا .
انظر : السلسلة الضعيفة (٤٩) ، العلل (٢ / ٢٠٩) لابن أبي حاتم .

(٩٠) حديثٌ ضعيفٌ . أخرجه ابن أبي الدنيا في القبور ، وعنه البيهقي (٧٩٠١) في شعب الإيمان من طريق خالد بن خراش عن الدراوردي عن الماجشون عن أيوب السختياني عن محمد بن سيرين به .
إسناده مرسلٌ ، وهو من أقسام الضعيف .

- وبه مرفوعًا من حديث أنس أخرجه ابن عدي (٧/ ٢٢٤) في الكامل ، والبيهقى (٧٩٠٢) في شعب الإيمان ، من طريق الربيع بن ثعلبة عن يحي بن عقبة عن أبي العيزار عن محمد بن حجادة عن أنس به .

وفي سنده ابن أبي العيزار ، قال أبو حاتم : يفتعل الحديث ، وكذبه ابن معين ، وقال النسائي وغيره : ليس بثقة ، انظر : الميزان (٤/ ٣٩٧) .
فهو ضعيف جدًا ، إن لم يكن موضوعًا ، فلا يصلح للاحتجاج به .

(٩١) حديثٌ ضعيفٌ . أخرجه عبد العزيز صاحب الخلال بسنده عن أنسٍ ، كما في شرح الصدور (ص/ ٣١٢) .

وقال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ : قال رسول الله ﷺ :

« من مر على المقابر وقرأ : قل هو الله أحد ـ إحدى عشرة مرة ـ ثم وهب أجره للموتى ، أعطي من الأجر بعدد الأموات » (٩٢) .

وروي أن فاطمة ـ بنت النبي ﷺ . كانت تزور قبر عمها حمزة في الأيام ، فتصلي وتبكي عنده ، ومثل هذا البكاء جائز فإنه هو بكاء الرأفة والرحمة التي لا يكاد يخلو منها إنسان ، وقد بكى النبي ﷺ لما مات ولده إبراهيم .

وإنما المحرم : هو البكاء الذي يكون مع النياحة والصياح وضرب الخدود وشق الجيوب . قال رسول الله ﷺ :

« أنا برئ ممن حلق وسلق وخرق » (٩٣) .

وقال أحمد بن حنبل ـ رحمه الله تعالى ـ :

إذا دخلتم المقابر . فاقرأوا بفاتحة القرآن ، والمعوذتين ، وقل هو الله أحد ، واجعلوا ذلك لأهل المقابر فإنه يصل إليهم (٩٤) .

---

(٩٢) حديثٌ ضعيفٌ . أخرجه السلفي كما في التذكرة (١/ ١٠٠) ، وأبو محمد السمرقندي في فضائل ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ كما في شرح الصدور (ص/ ٣١١) ، والرافعي كما في الكنز (٤٢٥٩٦) . انظر : كشف الخفاء (٢/ ٣٨٩) ، تذكرة الموضوعات (٢١٩) .

(٩٣) حديثٌ صحيح . أخرجه مسلم (١٠٤) ، والنسائي (٤/ ٢٠) ، وابن ماجه (١٥٨٦) .

- الحالقة : هي التي تحلق شعرها عند المصيبة .
- السالقة : هي التي ترفع صوتها عند المصيبة .
- الخارقة : هي التي تخرق ثوبها عند المصيبة .

(٩٤) لم أقف له على سند . وأورده السيوطي في شرح الصدور (ص / ٣١٢) وقال : قال المحبي الطبري من متأخري أصحابنا ، وفي الإحياء للغزالي ، والعاقبة لعبد الحق ، ثم ذكره .

خاتمة الكتاب في :

(الحشر وما يتعلق به)

الحشر لغةً : الجمع . تقول : حشرت الناس . إذا جمعتهم ، ومنه : يوم الحشر .

وقد يجيء بمعنى الإهلاك . يقال : حشرت السنة مال فلان ـ إذا أهلكته ـ ، ولهذا قال عكرمة . في تفسير قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾[(١)] .

حشرها : موتها ، والمحشر ـ بكسر الشين . سماعًا هو : موضع الحشر ، وإن كان القياس الفتح فلهذا أجيز الفتح .

والحاشر : اسم من أسماء النبي ﷺ[(٢)] .

وأما الحشر شرعًا فهو : جمع الأجزاء بعد التفرق مع إحياء الأبدان بعد موتها ـ هذا عند الجمهور ـ ، وأما عند شرذمةٍ فهو : الإيجاد والإحياء ـ بعد الإعدام عند البعث ـ .

أما الدليل على الجواز . فلأن الإعادة كالإيجاد ابتداءً . بل هي أهون من الابتداء على ما ورد في كلام الله المجيد ، وأما الوقوع . فلأن الصادق أخبر عنه في مواضع لا تحصى ـ بعباراتٍ لا تقبل التأويل ـ حتى صار معلومًا بالضرورة كونه من الدين القويم ، والصراط المستقيم .

---

(١) سورة التكوير : ٥ .

(٢) حديثٌ صحيح . أخرجه البخاري (٤/ ٢٢٥) ، (٦/ ١٨٨) ، ومسلم (٢٣٥٤) ، وأحمد (٤/ ٨٠ ، ٨٤) ، وعبد الرزاق (١٩٦٥٧) ، والترمذي (١٩٦) في شمائله ، والبغوي (١٣/ ٢١١) في شرح السنة .

فمن أراد تأويلها بـالأمور الراجعـة إلى النفوس النـاطقـة فقـط ، فقـد كابر بإنكار ما هو من ضرورات ذلك الدين . قال الله تعالى :

﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [٣] .

وكل ما أخبر الصادق فهو حق .

هذا ، وروي أن الله تعالى يقول لإسرافيل بعد إحيائه :

انفخ نفخة البعث : فينفخ ، فتخرج الأرواح كأمثال النحل قـد ملأت مـا بين السماء والأرض ، فيقول الله عز وجل : ـ وعزتي وجلالي لأرجعن كل روحٍ إلى جسـده فيـدخـل الأرواح إلى الأجسـاد ثم تـدخـل في الخيـاشيم فتمشي في الأجساد مشي السم في اللديغ ، ثم تنشق الأرض عنكم ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ، فتخرجون منها شبابًا ـ كلكم أبناء ثلاث وثلاثين .

وروي أن رجلاً قال : أما مررت بوادي قومك جدبًا ، ثم مررت بـه يهتز خضرًا قلت : نعم . قال : فتلك آيات الله في خلقه .

ذكر الغـزالي ـ رحمـه الله ـ أمـالي في كشف علـوم الآخرة : أن الأجسـاد تنبت من عجب الذنب في مقـابرهـا . كما ينبت البقل . حتى يشتبـك بعضهـا على بعض ، فإذا رأس هذا على منكب هذا ، ويد هـذا على رجل هـذا . ونحو ذلك .

وليكن هذا آخر الكتاب بحمد الله تعالى .

وكان الفراغ من نسخـه في يـوم الأربعـاء المبـارك ، عـاشر رجب الفرد ، الحرام سنة ١١٢٥ هـ .

---

(٣) سورة يس : ٧٩ .

الفهرس العام

رقم الإيداع : ١٩٩١/٩٨٤٣

طبع بمطابع دار النصر للطباعة والنشر
٢٢٢ ش الجيش – القاهرة
ت : ٩١٨٥٠٠ – ٩٢٧١٦١

الناشر

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع

١٢٠ شارع الأزهر تلفون ٩٣٢٨٢٠ ـ ٢٦٣١٥٧٨

ص . ب ١٦١ الغورية ـ فاكس ٢٦٢١٧٥٠

